روائع المسرح العالمى

روائع المسرح العالمى

المعقول.. واللامعقول



أنتيجون : كوكتو

إتجاه ممنوع : سالاكرو

فتاة للزواج : يونسكو

ترجمة وتقديم :

فتحى العشرى

روائع
المسرح العالمى

المعقول.. واللامعقول

- أنتيجون : كوكتو
- اتجاه ممنوع : سالاكرو
- فتاة للزواج : يونسكو

ترجمة وتقديم : فتحى العشرى

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٩

هذه هى الترجمة الكاملة لمسرحيات :

Antigone : Jean Cocteau

Sens interdit : Armand Salacrou.

Une fille à mariage : Eugène Ionesco.

الاخراج الفنى : أسامة سعيد

جــلال

الحياة والموت ..

المعقول واللامعقول .

فتحى

تصــــدير

من كوكتو الى يونسكو ، مرورا بسالاكرو ، رحلة طويلة من التأليف المسرحي والحركة المسرحيــة ، لا فى فرنسا وحدها ، ولكن فى العــالم أجمع .. فتاريخ المسرح ، لم يكن ملكا لبلد دون غيره من البــلاد ، ولم يكن قاصرا على زمن دون ســائر الأزمــان .. ولن يــكون .. فالمسرح ملك للتــاريخ ، تاريخ الانسانية ، وتاريخ المسرح .

ومن كوكتو الى يونسكو ، مرورا بسالاكرو ، جولة خصبة من المزج بين المعقول واللامعقول ، استلهمت التراث وحلقت فى الخيــال ولمست أرض الواقع .. استدعت المــاضى واخترقت

حجب المستقبل وعاشت الحاضر •• أنتيجون الأسطورية ، والفتاة العصرية ، والمرأة التى تولد طاعنة فى السن ثم تنحدر الى سن الشـــباب •

ومن كوكتو الى يونسكو ، مرورا بسالاكرو ، ثلاثيـــة متنوعة من المسرحيات القصيرة ذات الفصل الواحد ، ولكنهـــا تنتمى جميعا الى قرننـــا العشرين ، بكل ما فيه من تناقضـــات ومتناقضـــات ، بكل ما فيه من معقول ولا معقول ، من المعقول واللامعقول !

فتحى العشرى

جان كوكتو
والمسرح الشاعرى

كانوا ثلاثة يمثلون معا الثالوث المسرحى الذى اشتهر فى فرنسا وفى العالم كله .. قاعدة هـذا الثالوث هوجان جيرودو وأحد أضـلاعه هوجان أنوى وضلعه الثالث والأخير هوجان كوكتو ..واذا كان هـذا المثلث قد تصـدع بسقوط قاعدته وضلعه الأخير .. أعنى بوفاة جيرودو وكوكتو من بعده فان أنوى لايزال حيا يواصل السير ويمضى فى الطريق الى مداه .

صحيح أن زعامة المسرح الفرنسى المعاصر قد أصبحت فى أيدى كتاب جدد يطلقون على أنفسهم ويطلق عليهم النقاد اسم العبث أو اللامعقول ولكن هل معنى هـذا أن نضـع الزهور على قبر كوكتو لنمضى مسرعين وراء ركب بيكيت ويونسـكو وجينيه . كلا بطبيعة الحال فان الانبهار بالمسرح الجديد لا يعنى

عدم الوفـاء لتلك الدراما الرائعة التى جمعت بين الشـعر والأسطورة ورح العصر التى كان كوكتو مسرحها الحى المفتوح الذى لن يسدل عليه الستار •

عبقرى من القرن العشرين :

ولدجان كوكتو لأبوين محبين للفن فى الخامس من يوليو سنة ١٨٨٩ فى ضاحية ميزون ـ لافييت •• وعاش حيـاة أقل ما يقال عنها أنها حياة فنية أو حياة فنان •• كان يجوع ويتشرد يسكر ويعربد ، يكسب ويخسر ، يفشل وينجح ، ولكنـه لم يعرف الكراهية •• كان يحب كل الناس حتى أعدائه •• وكان يردد كلمة سبينوزا « الانسان الحر لا يتصرف أبدا بمكر ودهاء ولكنه يتصرف دائما بحسن نية » •

وكان كوكتو يتصرف بحسن نية ويحيا بتلقائية كالتى كانت تحيا بها صديقته المغنية الشـهيرة ايديث بياف ، كانت العلاقـة بينهما تشبه الى حد بعيد بل تكاد تكون صورة مكررة للعلاقة التى تنشأ عادة بين القمم •• بين مارلين مونرو (قمة الجنس) وأرثر ميللر (قمة العقل) •• بين مادلين رينو (قمة الأداء) وجان ـ لوى بارو (قمة الابداع) •• بين سيمون دى بوفوار (قمـة الأدب) وجان بول سارتر (قمـة الفلسفة) •• بين الساترييولية (قمة الفن) ولوى أراجون (قمة الفكر) •

والفارق الوحيد بين كل هـذه الثنائيات وبين الثنائى « بياف ـ كوكتو » هو أنهم عاشـوا جميعا عيشة الأزواج .. أما هما فقد عاشا عيشة الأصـدقاء .. لأن ايديث كانت المرأة الوحيدة التى عرفها جان .. وغيرها كان كل أصـدقائه من الرجال .. راديجيه وبيكاسـو وسترافنسكى وماكس جاكوب وجان جينيه وأبولينير وجاك ماريتان .. ولكن هـذه الصداقة لم تدم طويلا ، فقد أصيب كوكتو بنوبة قلبية حادة انتقل بعدها الى بيته فى « ميللى لافوريه » التى تبعد ٣٠ ميلا عن باريس . وهناك تلقى نبأ وفـاة صديقته ، فأحس بصمت الدنيـا الكئيب وشعر بلا جدوى الحياة ولم يحتمل الصدمة فقال : « انى محموم الى درجة اليأس .. فموت ايديث قد هزنى هزا عنيفا » وبعدها دق قلبه دقات سريعة متوالية استمرت ساعتين ثم توقف القلب الى الأبد ..

مات بطريقة رومانسية حالمـة كما مات روميو حزنا على حبيبته جوليت .. مات فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٣ وقبل أن يموت كتب جان كوكتو على لوح من الحجر يغطى قبره الموجود فى فوتتا نبلو هـذه العبارة : « اننى باق معكم » ، نعم يا كوكتو .. أنت باق معنا .

هذه هى حياة الفتى العابث والشيخ التائب جان كوكتو ، وحياة كهذه لم يكن غريبا أن يكون صاحبها شاعرا وكاتبـا

وناقدا ومخرجا وممثلا ومصـــورا ونحاتا وموسيقيا ومصمما للديكورات والرقصات • فكوكتو ليس واحدا من هؤلاء وانما هو كل هؤلاء مجتمعين فى وحدة بللورية واحدة • ولكن كوكتو المتحدث كان أروع هؤلاء جميعا ، فان جميع أعمـــاله ــ على عظمتها ــ لا تعدل نصف ساعة من الاصغاء اليه وهو يتحدث •• كتب كوكتو سبع روايات وثلاثين ديوانا من الشعر وخمســـة وأربعين كتابا نقديا وعشرة أفــلام سينمائيـــة وخمس عشرة مسرحيـــة •

فاذا كان لنا أن نقتصر هنـــا على مسرحه ، وجدنا أنفسنا مضطرين الى الرجـــوع الى ســـنة ١٩٢٠ زمانـــا والى مسرح « الشـــانزيليزيه » بباريس حيث بدأ يعرض انتاجـــه المسرحى بكوميديا راقصة اسمها « جاموس على السطح » تلاها بمسرحية « أزواج برج ايفل » •

واتجـــه كوكتو بعد المسرح الغنـــائى الراقص الى مسرح شيكسبير الكلاسيكى فألبسه ثوبا عصريا جديدا القصـــد منه تقليم أظافر التراجيديا وتجريدها من هيبتها وجلالها التقليديين وذلك بتناول مسرحية « روميو وجوليت » تناولا جديدا بعيدا كل البعد عن المعالجة الأصلية •

ثم توجه بعد ذلك الى كتاب المسرح القديم فتناول مسرحية

« أوديب ملكا » ومسرحية « أنتيجون » اللتان كتبهما سوفوكليس تناولا عصريا جديدا •• وقد قدمتا على مسرح الأتيليه فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٨ •

وبعدهما قدم كوكتو أسطورة « أروفيوس » التى شملها بالتجديد •• وهى تراجيديا من فصل واحد تتخلله استراحة قصيرة •• وقد قدمت على مسرح الفنون فى ١٧ يونيو ١٩٢٩ بديكور من تصميم جان هوجو فأكدت للجمهور أصالة هذا الكاتب وجدته •

ثم قدم مسرحية « الصوت البشرى » وهى مسرحية من فصل واحد وشخصية واحدة هى شخصية امرأة تعانى سكرات الموت ولكنها تنتظر آخر مكالمة تليفونية من حبيبها الذى هجرها • ويدق جرس التليفون وتتلقف السماعة •• وبعد حديث قصير تطلب من محدثها أن ينهى المكالمة ذلك أن حياتها قد انتهت بالفعل • والمسرحية شريحة نابضة من الواقع الحى فى ثوب رائع الحبكة خال من التعقيد •• وهى مونودراما أو دراما ذاتية من نوع جديد •

الى أن طلع على جمهور المسرح بقمة انتاجه المسرحى وهى مسرحية « الآلة الجهنمية » التى قدمت فى العاشر من ابريل سنة ١٩٣٤ على مسرح لوى جوفيه فأحس الجمهور بنضج كوكتو واعترف النقاد بأن جديدا فى عالم المسرح قد تم فى هذه

الليلة .. ولعل هذا العبث الجديد للأساطير القديمة وهذا الأسلوب المبتكر فى استعارة فكرة من سوفوكليس أو شيكسبير أو غيرهما وتفريغها فى رؤ يةفنية مغايرة تستند اساسا الى معطيات التحليل النفسى واساليب التعبير السيريالى واسلوب المسرح الشاعرى ثم التجمع بين هده العناصر كلها فى صورة وحى شامل والهام متكامل ورؤيا متجانسة هو أهم ما أضافه الشاعر كوكتو الى فن التأليف المسرحى .

ولم يكتف كوكتو بهذا كله بل واصل الطريق ، طريق التجديد والابتكار ، فقدم مسرحية « فرسان المائدة المستديرة » ـ وهى مسرحية من ثلاثة فصول أخرجها ووضع ديكوراتها بنفسه وقدمت على مسرح العمل فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٧ ـ فلاقت نجاحا كبيرا لم يتوقعه الكاتب مما دفعه فى العام التالى مباشرة الى كتابة مسرحية « الآباء المزعجون » وهى مسرحية من ثلاثة فصول أيضا دفعها الى مسرح (السفارات) فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٣٨ باخراج أليس كوكيا وديكور موتان .

وفى سنة ١٩٤٠ قدى كوكتو مسرحية « الوحوش المقدسة » وهى مسرحية من ثلال فصول صمم ديكوراتها كريستيان بيرار وقدمت على مسرح ميشيل فى ١٧ فبراير .. وقدم فى العام التالى مسرحية « الآلة الكاتبة » وهى مسرحية

من ثلاثة فصول أيضا صمم ديكوراتها جان ماريه وقدمت على مسرح هيبرتوه فى ١٠ ابريل ٠٠ ثم تلاها بمسرحيــة « رينوا وآرميد » (١٩٤٣) ومسرحية « النسر ذو الرأســين » وهى مسرحية من ثلاثة فصول صمم ديكوراتها آندريه بوريير وصمم ملابسها كريستيان بيرار وقام باداء أدوارها الرئيسية ادويج فويار وجان ماريه وقدمت على مسرح هبرتوه فى نوفمبر سنة ١٩٤٦ ٠

وأخيرا قدم كوكتو مسرحية « باكوس » فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٥١ وهى مسرحيــة من ثلاثة فصــول هى الأخرى صمم ديكوراتها كوكتو بنفسه وقام بأداء الأدوار الرئيسية فيهــا ممثلة فرنسا الأولى مادلين رينو والممثل العبقرى جان لوى بارو اللذان استطاعا أن يجسدا فن الكاتب تجسيدا رائعا اعتلى بفضــله عرش المسرح الفرنسى ، ففى نوفمبر سنة ١٩٥٥ ، انتخب كوكتو عضوا فى « الأكاديمية الفرنسية » واختير بعد ذلك أميرا للشعر فى فرنسا ٠

المسرح الشــاعرى :

كان المسرح النثرى شيئا موجودا وكذلك كان المسرح الشعرى ، لكن كوكتو رفض كلا المسرحين ليضيف الى المسرح ما أسماه بالمسرح الشاعرى ٠

والمسرح الشاعرى عند كوكتو كان نتيجة طبيعية لمــا أسماه

بالمسرح (التعبيرى) او كان شيئا ملازما له . فماسى سوفوكليس ويوريبيدس صيغت كلها شعرا ولما تناولها كورنى وراسين من جديد فى القرن السابع عشر صاغاها شعرا كذلك .. الى ان جاء سارتر وكامى وانوى وأوبى فصاغوا أسلوبها نثرا وعالجوا مضمونها معالجة عصرية..أما كوكتو فهو وحده الذى كان أول من صاغ أسلوبها (وعصر) مضمونها بطريقة جديدة مبتكرة سمحت للمضمون أن يلائم الشكل ويتجانس معه ، فلا الشكل يغاير المضمون ولا المضمون ينفصل عن الشكل ، أما المضمون فهو الشاعرية وليس الشعر .. شاعرية الفكرة وشاعرية الاحساس ، شاعرية اللغة وشاعرية الأسلوب .. وهذه الشاعرية هى التى سمحت للمسرح (التعبيرى) عند كوكتو أن يحقق تكامله الفنى : شكلا ومضمونا ، اطارا وصورة ، قالبا وحشوا . ومن هنا كانت نظرية كوكتو فى المسرح .

ولندع الآن العناصر المكملة لهذه النظرية من ضرورة قيام كاتب العمل المسرحى باخراجه على المسرح ووضع موسيقاه وتصميم مناظره وملابسه وسائر الفنون المسرحية المصاحبة لنرجع عائدين الى أهم « مسرحيات » كوكتو .. « أنتيجون » وتمثل قمة مسرحياته ذات الفصل الواحد .. و « النسر ذو الرأسين » وتمثل قمة مسرحياته ذات الفصول الثلاثة .. و « الآلة الجهنمية » التى تقع فى أربعة فصول ، والتى تمثل قمة

« مسرح كوكتو » على الاطلاق .. اما « أنتيجون » ، أنتيجون الجديدة أو أنتيجون القرن العشرين .. فيفصل بينها وبين « أنتيجون » سوفوكليس خمسة وعشرون قرنا من الزمان .

صحيح أن سوفوكليس كتب هذا الموضوع فى سنه ٤٤٠ ق.م . وأن روتروه عالجه فى سنة ١٦٢٨ وآن الفييريه تناوله فى القرن الثانى عشر وأن بالونش نظمه شعرا فى قصيدة رمزية شهيرة وأن جان أنوى صاغه فى مسرحية من ثلاثة فصول احتفظ فيها بمعطيات سوفوكليس الأساسية فقط . صحيح كل هذا ولكن الصحيح أيضا أن كوكتو تناول مسرحية « أنتيجون » تناولا جديدا يختلف عن تناول أولئك وهؤلاء .. فقد صاغ مسرحيته فى فصل واحد كشف فيه الموضوع بعد أن عالجه معالجة عصرية فى ديكور تجريدى خالص أعده بيكاسو وأنغام موسيقية وضعها أوينجر . وقد قدمت هذه المسرحية على مسرح الآتيليه فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٨ فأحس الجمهور انه أمام شىء جديد وأصيل .

ان أسطورة « أنتيجون » أغرت الكثيرين من كتاب الدراما المحدثين على تناول موضوعها .. والسبب الرئيسى فى ذلك هو أن أنتيجون ككل بطلات سوفوكليس ، كأليكترا مثلا ، تمتلىء قوة وارادة وتفيض عظمة وانسانية .

لذلك نجد أن كثيرا من الأساطير اليونانية الأخرى لم

تلق نفس الاهتمام الذى لقيته « أنتيجون » عبر العصور • لا لشيء الا لأنها « رمز الثورة الخالدة للنفس النقية ضد الخطر المادى » •

الحنين الى المأساة :

كان لأوديب ابنتان هما أنتيجون وايسمن وولدان هما اتيوكل وبولينيس • أما أنتيجون فهى التى كانت تصحب والدها بعد أن فقأ عينيه ذلك أنها نذرت لنفس القدر الذى آنصب على آسرة أوديب فولداه قد تقاتلا فى مدينة طيبة حيث كان يدافع اتيوكل عن المدينة فأعتبر بطلا وكان بولينيس يمنعه من ذلك فأعتبر خائنا • لهذا أمر كريون الذى انتقل حكم طيبة الى يديه أن يلقى جثمان الأول كل طقوس ومراسم الدفن وأن تترك جثة الثانى فى العراء نهبا للغربان • ولكن آنتيجون تتحدى هذا القرار وتصمم على أن تدفن أخاها على العكس من أختها ايسمن التى تأخذ جانب الحذر خوفا على نفسها وعلى أختها •• وعندما يعلم كريون أن أنتيجون قد قامت بدفن أخيها مرة ثانية يثور غاضبا ويأمر بدفنها حية •• ويأتى ابنه هيمون ، خطيب أنتيجون ليدافع عنها فيؤكد له الأب ضرورة المحافظة على القانون والنظام • ويتمسك الابن برأيه فى أن فردا بذاته لايمكن أن يكون وحده على صواب • فيحتد النقاش بينهما • غير أن أنتيجون تساق الى مصيرها فتدفن حية فى حفرة بالصحراء

العارية • وعندما يتراجع الملك عن قراره يكون الوقت قد فات • فأنتيجون شنقت نفسها وأنتحر هيمون على صدرها وماتت أوريديس من الحسرة والألم • مات الثلاثة وتركوه نهبا للعذاب والندم •

وهنا يسدل الستار على المأساة الأسطورية التى تتكرر وتتجدد وتتعصر مع الأيام • وبينما يحتفظ آنوى بمعطيات مأساة سوفوكليس الأساسية فقط يطبقها كوكتو بحذافيرها •• غير أن كليهما لا يتمسكان بالمعتقدات الدينية التى تأمر بالدفن الا لخدمة الاطار بالنسبة للأسطورة القديمة التى ينقلها كل منهما حسب طريقته الخاصة بتناول حديث •

وعندما ينقل كوكتو هذه الأسطورة فى أطار عصره يجعل أنتيجون تتحمل مصيرها ككل الأبطال الأسطوريين فى المسرح الحديث ، كوكتو يجتهد فى اظهار قدرة الكائن البشرى على تخطى نفسه والوصول الى منتهى العظمة •

أما الديكور فتجريدى خالص •• كل شيء غارق فى اللون الأبيض ليؤكد البعد عن تحديدات المكان والزمان ، ان كل ما يهمنا هو العنصر الانساني وحده ، فالانسان هو الانسان فى كل زمان ومكان •

وأما الحدث فبسيط •• لأن السؤال الوحيد الذى يقفز الى الأذهان هو : هل تغير ما سوف يطرأ على الموقف الذى

اتخذه كل من كريون وأنتيجون ؟ فقد وقف الاسان أحدهما فى مواجهة الآخر كل يتصرف بمقتضى ادراكه للحياة ووعيه بها ، وقد كان الادراك مختلفا مما أدى الى تمسكهما معا كل برأيه الخاص لا يريد التنازل عنه ، فأنتيجون تمثل النقاء الأصيل ومرده الارادة الشخصية وكريون يمثل الضعف الانسانى ومرده المتطلبات المادية .

وتخبرنا الجوقة التى يحتفظ بها كوكتو فى مسرحيته التى تمثل عند سوفوكليس المدينة نفسها وتمثل عند كوكتو النفس ذاتها ، تخبرنا الجوقة بموت البطلة .. يحدث ذلك فيجرى الحدث حسب ايقاع منتظم رتيب حتى النهاية المنتظرة .

وكوكتو رغم كثافة الموضوع لا يضحى بشحنة البطلة السيكولوجية فهى أمامنا كاملة تكاد تكون عارية تماما من فرط كمالها ، لأن المنحنيات والمتموجات النفسية قد كشفت كمثيلاتها البيولوجية وظهرت شخصية أنتيجون شخصية غير عادية أو سوبرمان.ولهذا فان جميع الشخصيات ليست هنا الا لتوضح بجلاء مظاهر شخصية أنتيجون المختلفة فى تعقدها وتضاربها كما فى قيمتها البطولية وعواطفها الانسانية . ولهذا أيضا فان كريون هو الشخص الوحيد الذى يقف فى مواجهتها .

وترفض أنتيجون الدعوة الى الحياة لأن الموت عندها هو

اليقين المرغوب فيه وهو التحقيق الكامل لذاتها وفيه تكمن تلك الارادة البطولية التى تظل محتفظة بها حتى النهاية والتى تظل أقوى شيء لديها ، فهى عندما تواجه الموت لا تشعر بضعف أو تردد كما هو الحال بالنسبة الى الانسان العادى . وهى تجازف دون أن تدرى بانسانيتها التى لم تعد مقنعة .

ولذلك يعجل كوكتو بمصير بطلته المأساوى قبل أن تتردد فى موقفها .

أما الدعوة الى الحياة فتتمثل فى محاولة كريون اليائسة لاثبات عبث فعلتها وخطأ تمسكها بها .. ويدعم رأيه استنادا الى أن الجثة التى نالت شرف الدفن لم تكن معروفة بالتحديد ؛ وعلى هذا فهناك احتمال أن تكون الجثة الأخرى الملقاة للغربان هى فى الواقع لاتيوكل الذى أريد دفنه وتكريمه بالفعل . وما هذا التفضيل الا من أجل النظام واحترام قوانين الدولة . ولكن أنتيجون ترفض هذا التعليل الواهى لأنها كانت تكرم أخاها وليس أحد أخويها دون الآخر ، وتتطور محاولة الاقناع الى رجاء فيذكرها كريون بحبيبها وخطيبها هيمون فلا تعدل عن رأيها .. ومنذ هذه اللحظة يتبين لنا أن أنتيجون انما تعمل من أجلها هى لا من أجل أخيها الذى لم يكن الا سببا ودافعا .

كريون وأنتيجون هما الصراع بين النظام والحق .. فكريون هو رجل الدولة المشغول بالمحافظة على النظام

وأنتيجون هى الانسان المتمسك بالحق ، العـامل على اقراره وتدعيمـه .

غير أننا نجد فى كريون شاعرا قبل أن يكون ملكا ، فهو يعرف جيـدا نبل أنتيجون المرتبط بكبريـاء أوديب . فـاذا ما رفضهما ـ النبل والكبرياء ـ فلأنه يدرك الامكان لهما فى حقل الضرورة العامة .. كريون حساس يعـانى موقف أنتيجون ويتألم له ويظل انسانا خالصا فى مواجهة « الفعلة القذرة » التى ارتكبتها . وتصر على ارتكابها مرة أخرى .. فاذا ما تمسـك بأوامره فذلك أنه يدرك استحالة موقف آخر يمكنـه التصرف على أساسه .

القضية المطروحة اذن هى قضية التضحية بالذات فى سبيل الواجب .. قضـية رفض السـعادة التى تقوم على أشـلاء الآخرين ..وهى فى نفس الوقت ، قضية صراع الانسان الخالد الذى يأمل فى الفكاك من مصيره .. وقضية هـذا مضمونها ليست قضية عصر بذاته وانما هى قضية الوجود البشرى كله بل هى أخطر قضاياه . وأنتيجون ليست الا صـورة لعصرها تنعكس على العصور جميعها .. وهذا ما يؤكد الصلة بين الكاتب ومسرحيته فبطلته تعـانى من حالة نفسية تشبه فى الحقيقة والى حد كبير حالته النفسية .. وهى تتخذ موقفا فكريا قريبا من تلك

المواقف الفكرية الشهيرة التى اتخذها الكاتب فى حياته الخصبة العريضة • وعلى هـذا المستوى نجد أن مسرحية « أنتيجون » هى كوكتو كما كانت رواية « مدام بوفارى » هى فلوبير •

ما هى ، والأمر كذلك ، قيمة أسطورة (أنتيجون) كما صورها جان كوكتو ؟

قد لا نخطىء عندما نؤكد أن هـذا الكاتب يتمتع بحس تراجيدى شفاف فبطلته تقبل تحمل المأساة كمقابل لتحقيق ذاتها وحتى تكون على حد تعبيرها : « هى نفسها لا غيرها » •• وبهذا تتخلص مما هو عبث فى مضمون الدور الذى تقوم به أو عبث التضحية « غير المجدية » كما يقول لها كريون وعبث « رفض السعادة » كما تقول لها ايسمن •

رفض أنتيجون للسعادة يحتوى اذن على تخل أو هو يقوم أساسا على هذا التخلى الذى يتحقق فى كونها صورة لعصرها •• أو هكذا جاءت رؤية الكاتب لها •

ان عمل أنتيجون اليائس والبطولى فى نفس الوقت هو عمل ملىء فى صميمه ببطولة ويأس عصر بأكمله •

وموضوع التخلى عن الحياة بالتضحية موجود على ثلاث درجات مختلفة فى اطـار الفكرة المسيحية فى القرن العشرين • ففرنسوا مورياك يدفع بطلة « المحبون الفاشلون » الى التخلى

عن الحب والتضحية بحياتها . صحيح أن التخلي كان نزولا على ارادتها ولكنه تم بأمر . حيث كانت تخضع لطغيان الأب . وهنرى دومو نترلان يحمل الفارو فى مسرحية « سيد سنتياجو » على أن يضحى بابنته فى سبيل الله من أجل الرغبة فى الطهر والنقاء . وبول كلوديل يلجيء فيولان فى مسرحية « بشارة مريم » الى التضحية القائمة على الحرية والاختيار وفى أجمل تعبير عن التخلي المسيحى .

وعلى عكس شكل التخلى الدينى هذا فان المسرح الأسطورى يضع الانسان فى مواجهة مصيره وحده وبغير الاعتماد على أحد دون انتظار لجزاء . وهذه التضحية نفسها هى التى تخلق موقف أنتيجون المأساوى وعظمتها .

ان هذه الأسطورة تكشف عن مأساة مصير الانسان الحديث الذى يجد نفسه عاجزا عن حل المشاكل التى تعترضه الا اذا لجأ الى الكذب والرياء والخداع .. والا اذا لجأ الى الشر .. أما اذا لم يلجأ الانسان الى الشر فى حل مشاكله أو اذا ظل عاجزا نتيجة لصدقه مع نفسه ومع غيره فهو يحقق الجانب الآلهى الموجود فيه والذى يجعل منه « الكائن الأعلى » فى الكون .

فخ اسمه المسرح السينمائى :

فى سنة ١٩٤٨ قام كوكتو بتحويل مسرحية « النسر ذو الرأسين » الى فيلم سينمائى أخرجه بنفسه كما كتب له السيناريو .. لكن كوكتو واجه مشكلة على جانب كبير من التعقيد وهى طول النص المسرحى ، طولا يصعب معه تحويل المسرحية الى فيلم سينمائى وعلى ذلك عمد الى تقطيع النص المسرحى من حين الى آخر مما أدى الى تفكك الأحداث بعد أن كانت كل جملة تلعب دورها الايجابى فى الحبكة الدرامية ومما أدى أيضا الى عرض الفيلم فى صورة ميلودراما بوليسية شارك السيناريو فيها بطمس معالم المأساة .

ولكى يعوض كوكتو الفشل الذى أصابه وينتقم لما لقيه فى محاولة « النسر ذو الرأسين » قام بتحويل مسرحية « الآباء المزعجون » الى فيلم سينمائى فاستطاع فى هذه المرة أن يخرج من الفخ الذى وقع فيه وأن يبسط يده على الفن السابع كما سبق أن بسطها على فن المسرح .

ولكن اذا كان كوكتو قد وقع فى الفخ عند تحويل مسرحية « النسر ذو الرأسين » الى فيلم سينمائى فهل وقع فى فخ آخر عند تقديم النص نفسه على المسرح ؟ هذا ما سنراه الآن .

***

تدور أحداث المسرحية فى قصر كرانتز بألمانيا التى

سيطرت عليها النزعة الرومانسية فى ذلك الحين •• وموضوع المسرحية مستوحى من قصة ويتلز باخ التى تحكى عن لويس الثانى والامبراطورة اليزابيث امبراطورة النمسا •

يرفع ستار الفصل الأول عن حجرة الملكة فى ليلة من الليالى العاصفة • وتمهد ايديث بيرج الوصيفة والدوق ويلنشتين كاتم الأسرار لظهور الملكة على المسرح • فنعرف على الفور أن الملك قتل منذ عشر سنوات فى اليوم التالى لزواجه وأن الملكة تعيش منذ ذلك اليوم وحدها بعيدا عن رجال البلاط •• بعيدا عن جماهير الشعب •• بعيدا عن مباهج الحياة •• قريبة فقط من ذكرى زوجها المقتول •• غير أن الملكة تقرر فى تلك الليلة أن تتناول العشاء مع ظل زوجها فى الحجرة التى لم يقدر لهما أن يدخلاها معا •

وتظهر الملكة مهيبة •• انها لا تخاف العاصفة بل تحبها •• تفتح النوافذ وتأخذ فى تناول طعام العشاء مع صورة زوجها التى تزين جدران الحجرة وفجأة يسمع من بعيد صوت طلقة نارية تتلوها ثانية وثالثة ثم طلقات متلاحقة تهدأ وتكف بظهور شاب يشبه الملك تماما يتسلق الشرفة ويدخل الى الحجرة فى الوقت الذى تدق فيه ايديث الباب •• وهنا تبدو الملكة مشدوهة لهذا التشابه وترتعد من دقات الباب فتسرع الى اخفاء

المتسلق الجرىء تحت الفراش •• وتدخل ايديث معلنة للملكة أن الحراس يبحثون من مجرم يريد قتلها كان يطلق النار فى الحديقة منذ قليـــل • ولكن الملكة تطلب من ايديث أن تخرج ولا تحاول ازعاجها مهما حدث • وتتحدث الملكة الى ستانيسلاس الشاعر الهارب الذى كانت تقرأ له من قبل فتشرح له ظروف حياتها وكيف أن عائلتها المطبوعة على الفن تكرهها لرداءة أشعارها وسذاجة لوحاتها •• وهكذا « تموت وحدها بموت زوجهـــا » والليـــلة « تخرج من التابوت » لأول مرة فيـــدفع لها القـــدر بستانيسلاس الذى لا يتمكن من قتلها ويخشى أن يتردد فى تنفيذ هذا القتل •• ولكن الملكة تريد أن تموت لأن شيئا فيها يحن الى الموت ويهفو الى الفناء فتقرر أن يكون ذلك « بيد بطل لا بيد مجرم » فتمنح ستانيسلاس فرصـــة أخرى فان لم يقتلها فى مدى ثلاثة أيام فليس أمامها الا أن تقوم هى بقتله •

وتسكن العاصفة ويسدل ستار الفصل الأول •

ويرتفع ستار الفصل الثانى عن مكتبة الملكة فى صباح اليوم التالى حين نشاهد الملكة وهى تقدم ستانيسلاس لايديث على أنه مؤدبها الجديد ، أما ايديث فتهرع الى أم الملك وتسر لها بكل أخبار الملكة وبعد لحظـــات تظهر الملـــكة مرة أخرى يتبعهـــا ستانيسلاس واذا بها تضـــع أمامه مسدسا وتطلب منه أن يطلق عليها النار ، ولكنه يتردد طويلا ويرفض أن ينفذ أمر الملكة •

فى هذه الأثناء يدخل فوهن رئيس الحرس الملكى فتسرع الملكة الى اخفاء ستانيسلاس • ولا تطول زيارته اذ يسارع الى الخروج ويظهر ستانيسلاس من جديد ، فلا يتجدد الحديث ولكن يسود الصمت لتبدأ العيون فى الكلام ، وبعبارات ترتجف على أطراف الشفاه يعترف كل للآخر بحبه الدفين • أما ايديث فتلحق بفوهن وتطلعه على كل شيء •• ويصمم ستانيسلاس على الرحيل فلا تملك الملكة الا أن تتخلى عن هـذا الصعلوك لتخرج الى الحياة : تحكم وتتحمل مسئوليات الحكم وتواجه كل شيء ، الشعب والحاشية ورجال البلاط ، وتبدأ باصـدار أول مرسوم ملكى وهو زيارة المدينة •

وفى الفصل الثالث والأخير تدخل ايديث المكتبـة لتخبر ستانيسلاس برغبـة فوهن فى مقابلته •• وبعد برهـة يدخل رئيس الحرس الملكى ليهنىء ستانيسلاس على نجاحه فى اقنـاع الملكة بالرجوع الى الحكم •• غير أن ستانيسلاس يفطن الى مقالبه التى يدبرها فوهن للملكة بالاشتراك مع أم الملك ، ويدرك فوهن ذلك فيهدده بالقتـل ان لم يتـكتم الأمر بل وان لم يكن أداة فى يده ضد الملكة • وعندما يرفض ستانيسلاس الاذعان لأوامره يلقى فوهن القبض عليه بتهمة الاشتراك فى تدبير مؤامرة لقتل الملكة • وأخيرا لا يجد ستانيسلاس الا أن يطلب منه اطلاق سراحه مخافـة أن تلغى الملكة زيارتها الهامة للمدينـة عندما

نسمع بالأمر • وتقبل الملكة لتشرك ستانيسلاس فى بهجتها وتطلب منه أن ينتظرها فى حجرتها حتى تنتهى من بعض أعمالها ثم تعود اليه لتودعه قبل الرحيل • وبعد قليل يهبط ستانيسلاس وقد تجرع كمية كبيرة من السم لا تسمح له بالحياة أكثر من ربع ساعة •• وعبثا يحاول الفتى المسموم أن يشرح للملكة الأمر ، ولكن الملكة ترفض أن تستمع اليه وتثور فى وجهه فلا يملك أن يغمد خنجره فى صدرها فتستسلم للموت ضاحكة •
وعلى هذا المشهد المأساوى الساخر يسدل ستار الختام •

نوعان من النقد :

تلك هى خطوط العرض فى هذه المسرحية المحيرة التى اختلف حولها النقاد ، بل توقف أمامها النقد بحيث يمكن اعتبارها حدا فاصلا بين نوعين من النقد ، هما النقد الحديث والنقد المعاصر ، فالنقاد المحدثون خرجوا بعد العرض الأول ثائرين ساخطين معلنين فشل المسرحية لأنهم وجدوا فيها « روى بلاه » و « هيرنانى » ولكن بدون أشعار فيكتور هوجو • أما النقد المعاصر فيرى فى هذا الرأى مجافاة للحقيقة ، فلا « روى بلاه » ولا « هيرنانى » ولا « النسر ذو الرأسين » جريمة فى حق هوجو أو كوكتو •

من بين هؤلاء المعاصرين الفيلسوف الناقد جبرييل مارسيل الذى صرح بأن « النسر ذو الرأسين » عمل « محكم الصنعة

لم نر مثله منذ وقت طويل » ولكن كلمة جبرييل مارسيل فيها الكثير من المغالاة ذلك أن « النسر ذو الرأسين » هي احدى المسرحيات الحية التي تحتل مكانة خاصة في مسرح كوكتو الرومانسي – الميلودرامي ، فلم يكن موت البطلين على خشبة المسرح ووجه الشبه بين العاشق القاتل والملك القتيل ، لم يكن ذلك أسلوبا رومانسيا وكفى بل كان ضرورة درامية ، القصد منها ايهام الملكة وايقاعها في حبائل الخداع . كما أن العاصفة – في الفصل الأول – كانت بمثابة المقدمة التي تصاحب هواجس الملكة وتلازمها وتعلن في الوقت نفسه عن مقدم ستانيسلاس المفاجيء .. غير أن المبررات كانت جاهزة من قبل بل كانت جاهزة قبل أن تجهز فالعاصفة هبت والدراما تحولت الى تراجيديا يقوم فيها الكلام مقام أي شيء آخر .

والرومانسية هنا ما هي الا واجهة وراء مظهرها البراق حقيقة كل العصور . هذه الواجهة هي التي تضفي على « النسر ذو الرأسين » لمحة غير واقعية تماما كما في قصص الجان . فالليل والعاصفة والملكة الوحيدة وتسلل شاب يشبه الملك ، كل هذا كفيل بأن يخلق جوا من الغرابة والتوتر يختلف تمام الاختلاف عن كل ما سبق أن كتبه كوكتو للمسرح . والمسرحية عبارة عن سيمفونية من ثلاث حركات : الحركة الأولى تعزف قصة الملكة ، والحركة الثانية تعزف قصة ستانيسلاس المقابلة

لقصة الملكة ، ثم تتزاوج القصتان فى نهايـة الحركة الثالثـة والأخـير •

قصة الملكة هى التى تفتتح المسرحية اذن • تفتتحها بطريقة بارعة حيث يلعب حوار الملكة النفسى دورا أساسيا فى تجميع عناصر التراجيديا ، ففى البداية تناجى الملكة ذكرى الملك ثم تتكلم وحدها بعد أن تلتقى بستانيسلاس الذى يظل صامتا فى مواجهتها •• وتستمر فى الكلام وحدها الى أن يسدل الستار بعد أن تكون قد قالت كل شىء •• وتتمثل قوة هـذا الفصـل فيما احتواه من مونولوجات متفرقة شغل أحدها خمس عشرة صفحة بحيث استغرق خمس عشرة دقيقة على المسرح ، الشىء الذى لم يحدث فى أى مسرحيـة من مسرحيـات كوكتو ذات الأهميـة •

وهكذا يغوص هذا الفصل فى مونودراما أو دراما ذاتية من نوع جديد •• يذكرنا بفصـل « الصوت البشرى » الوحيد حيث تعمل كل كلمة على تطوير الحدث وتعجل كل عبارة بوقوع المأساة ! وهذا ما يؤكده أسلوب المسرحيتين بل أسـلوب كوكتو وهو أسلوب درامى غاية فى الاتقان •• فالخط الدرامى الصاعد لا يتوقف أبدا حتى يصل بنا الى ذروة الحدث •• وعلى هـذا النحو أيضا نجد أن كل مشهد من المشاهد الافتتاحية فى كل فصل من الفصول الثلاثة يرتفع الى هذا المستوى نفسه •

فاذا تركنا الشكل المسرحي بفصوله الثلاثة وانتقلنا الى المضمون بشخصياته الثلاث وجدنا أن الشخصية الأولى تكمل طبيعة الشخصية الأخرى وأن الاثنتين معا تكملهما الشخصية الثالثة والأخيرة . فالملكة امرأة حساسة مرهفة متحمسة تريد أن تجعل من حياتها مأساة بعد أن مات زوجها وعاشت وحدها عشر سنوات فى جحيم الوحدة القاتل وهى صادقة فى كل ذلك وان جاء صدقها مسرحيا الى حد كبير .. فهى لكى تزيد من آلامها تتناول العشاء مع ذكرى زوجها وتلعب معه الورق وهى بعد هذا كله انسانة طيبة القلب تنبض بالحياة على الرغم من كل ما تبدو فيه من عزلة ووحدة وأسى .

وأما ستانيسلاس فرومانسى هو الآخر .. يملأ آذان الملكة باطراءاته المبالغ فيها ، فى الوقت الذى يفضح فيه أنانيتها ويكشف عن كبريائها المزور . وهو عندما يتسلل الى غرفة الملكة كان سيدخلها قاتلا ولكنه سرعان ما يتحول الى عاشق أو « رجل فقير فى مواجهة امرأة باهرة الثراء » . وهكذا يتلاقى الخطان فى البداية بنفس الحدة التى ينفصلان بها فى النهاية .

ان بداية الفصل العنيفة السريعة تشكل مع نهايته الهادئة الرتيبة انسجاما بالغا وتناغما بديعا .

وتتكون المراحل الثلاث فى تلك السيمفونية الرائعة من حديث ستانيسلاس مع الملكة — مرحلة أولى — حيث يأخذ الخط

الدرامي فى الصعود حتى يصل الى مشهد السقوط المزدوج ، اذ يدخل الكونت فوهن فيغير دخوله مجرى الاحداث لشده فى وجود ستانيسلاس داخل القصر وتربصه له • وعندئذ تجد الملكة كما يجد ستانيسلاس انهما مفضى عليهما حتما • وتعمل سرعة الحدث على تعرية كل منهما أمام الآخر • فيلقى كلاهما بكبريائه المصطنع وخجله المتوارى فيعترف كل منهما بحبه للآخر ويعرفان معا ــ فى المرحلة الثانية ــ آن فوهن قد علم بوجود ستانيسلاس عن طريق ايديث فيعلوهما شعور بالضياع والعرى ولا يجدان بدا من البحث عن مخرج وايجاد حل . كائنا ما كان هذا الحل ، وأخيرا يجدان الحل : عودة الملكة الى تولى زمام الحكم •• حتى تتمكن من القضاء على فوهن وعلى أم الملك فيستتب لها الأمر ومن ثم تتمكن من حماية ستانيسلاس •

وفى المرحلة الثالثة يظهر فوهن من جديد فيكشف حقيقة ستانيسلاس ويقوم فى المشهدين اللذين يظهر فيهما مقام « همزة الوصل » على حد تعبير كوكتو نفسه ، أو الرباط الذى يمسك بزمام الموقف الدرامى كله ، يحركه ويحرك الآخرين كما يتحرك هو فيه بثورية درامية صارمة • لذا نحس بالتناقض العجيب بين موقف فوهن رجل الأمن القادر المتمكن المتسلط القوى الذى يقوم مقام الشرطى وموقف ستانيسلاس المتخاذل

الضائع الضعيف « الذى يقوم مقام اللص » وفيما يدور بينهما من حوار يتحقق أجمل وأحلى مشاهد المسرحية على الاطلاق .

ان فوهن هو أداة القدر المتحكم فى مصائر الأبطال ، لأن المسرحية انما هى حقيقتها دراما القدر الذى يلعب بالأشخاص كما يلعب الممثل بعرائس الماريونيت .

وهكذا تبوء كل محاولة للانقلاب من قبضة القدر بالفشل بل وتفضى أيضا الى العقاب ،كما حدث فى رواية « الآباء المزعجون » عندما فشل ميكائيل نفسه لأنه حاول أن يحيد بالأبطال عن الاتجاه الذى رسمه لهم القدر .. والاستثناء الوحيد فى مسرح كوكتو « الآلة الجهنمية » حيث يترفق القدر بأوديب فيعيد اليه قوته وصلابته بعد أن يفقأ له عينيه .. وفيما عدا ذلك نجد أن أبطال كوكتو جميعا لا يجرؤن على التطلع الى تلك القوة الخفية التى تقودهم الى حيث لا يعلمون ، هذا ان هم فكروا فى ذلك أبدا .

وهنا يلقى الكاتب بسؤال كبير يتضمن الفقرة التى استعارها من بلزاك والتى وضعها على رأس المسرحية ومؤداها : « انها لا تستطيع حتى أن تعتمد على المصادفة فهناك حيوات لم تعرف المصادفة أبدا » كما يتساءل الكاتب على لسان بطلته عن كنه القدر وجوهره ، فهى تحلم بقدر مأساوى عارم يجرفها الى

دخيلة ذاتها فتغلق على نفسها الباب وتظل وحيدة خائفــة بين جدران القصر الكبير لأنها كانت تعلم مقدما آن هــذا هو قدرها وما عليها الا أن تنتظر .. وتنتظر .. ويطول الانتظار ولكن أحدا لا يجيء . فالمصادفة لا ترتطم بقدمها مدى عشر سنوات ، ولذا كانت سعادتها غامرة عندما هبط عليها ستانيسلاس الشبيه بالملك ، فأكد هبوطه عليها رغبتها فى الموت بل وجعلت تتشبث به عندما علمت أنه ما جاء الا ليحقق لها هــذه الرغبة المحمومة . ولكن تغيرا كبيرا يحدث ، فالفتى لا يقوى على قتلها بل على العكس من ذلك يقع فى غرامها . وتواجه البطلة تصدعا عميقا فى بنائها الداخلى ، فبعد أن كانت تحــارب نفسها أصبح عليها الآن أن تحارب قدرها .. أن تحارب الموت .

ويدق ناقوس الخطر عندما تعــلم الملكة آن ستانيسلاس تجرع كأس السم وليس أمامه الا دقائق معدوات بعدها يموت وتبقى هى تعانى آلام الحياة . ولكن رغبتها الأكيدة فى الموت هى التى تقفز من داخل صــدرها لتنفجر على لسانها كلمات عنيفة حارة لا يملك ستانيسلاس ازاءها الا أن يغمد خنجره فى صدرها . وهنا فقط تهدأ ثائرة الملكة لأن ما كانت تتمناه أصبح أمامها حقيقة واقعة .. انها تحتضر مفارقة الحياة بلا وداع تماما كما جاءتها بلا أى داع .

أحبت الملــكة ستانيسلاس واعترفت له بحبهــا ، فأبقى

عليها .. ولكنها لم تكن ترغب فى ذلك لأنها كانت تريد أن تتخذ منه أداة لتحقيق رغبتها المأساوية : الموت .. وهى هنا تتفق تماما مع أنتيجون بطلة المسرحية التى تحدثنا عنها من قبل .

أما المشهد الختامى الذى يلخص الفكرة الأساسية ويبرز المحور الأصلى ففيه يترنز مغزى المسرحية الدقيق الذى يبدأ ويعود أبدا الى الانسان .. الانسان الذى يواجه قدره ومصيره محاولا أن يغير من هذا القدر أو ذاك المصير .

ان الملكة تحاول جاهدة أن تغزل خيوط قدرها بنفسها .. بارادتها وكامل حريتها . وهنا تقفز فكرة الاختيار ، تلك الفكرة الوجودية التى تثير قضــية هامة هى نفسها اللغز العميق الذى تطرحه المسرحية : هل يختار الانسان قدره ويغزل بنفسه خيوط هذا القدر أم أن الذى يحدث هو قدره بالفعل الذى لا دخل له فيه .

هذا هو السؤال الكبير الذى تطرحه المسرحية دون أن تجد له اجابة ما ، ذلك لأنه ليس من طبيعة الفن أن يجيب وان كان من طبيعته أن يثير السؤال ، تماما كما فى حالة الفلسفة والفكر الخــالص .

هذا السؤال الكبير نفسه هو الذى طرحته أيضا مسرحية

« أنتيجون » كما رأينا ، وهو الذى تطرحه كذلك مسرحية « الآلة الجهنمية » كما سنرى .

و « الآلة الجهنمية » هى أول مسرحية كبيرة يكتبها كوكتو .. يكتبها من أجل فصل واحد أساسى هو الفصل الذى يلتقى فيه أوديب بأبى الهول .. ذلك الحيوان ذو الصدر الحجرى بجناحيه الممتدين فى انتظار المسافر الغريب أو البطل الذى يحمل قدره بين شفتيه .

وتحمل المسرحية شعارا هو « الآلهة موجودون وهذا هو الشيطان » هذا الشعار يضعنا مباشرة أمام الفكرة التى يثيرها الكاتب منذ البداية والتى تشير الى العلاقة بين الحتمية والحرية قائلة بأن الانسان لا يتمتع الا بقدر ضئيل من الحرية المعصوبة والمحاصرة .

ان « الآلة الجهنمية » هى الزمن المتروك للانسان لكى يدور فى فلكه حتى الساعة المحتومة التى يندفع فيها نحو الهلاك والعدم .

لقد قصد كوكتو منذ البداية ــ بالعنوان نفسه ــ المعنى الحرفى للآلة .. آلية الانسان أن الانسان الآلة فى مقابل الرب الاله . غير أننا نفاجأ عند لقاء أوديب وأبى الهول ، بأن الآلهة أنفسها تتصرف بآلية وتأمل فى الحصول على حريتها والهروب

من أقـدارها المحتومة هى الأخرى .. لقد مل القدر اقتراف الجرائم ، أنه يتوق الى العفو ولكن دون جدوى فالربة التى تكشف لأوديب بارادتها لغز الموت ، خارجة بذلك عن طوع الآلهة لأول مرة تعلم مقدما بأن الانسان الذى أحبته وأنقذته انما تدفع به نحو هـلاك من نوع آخر .. نوع أشد عنفا وأكثر ضراوة .. ذلك أنه سيتزوج من أمه وينجب منها ثم يفقأ عينيه فى النهاية .

ان مشهد شبح لايوس والد أوديب يشبه الى حد بعيد مشهد شبح والد هاملت مع الفارق بأن الأول ظهر للجنديين بينما ظهر الآخر لابنه .

أوديب مثل هاملت كلاهمـا يبحث عن قاتل والده بحثـا مضنيا .. وكلا الوالدين يظهر شبحه ليعلن الحقيقة .. أحدهما يريد أن يخبر ابنه بما حدث والآخر يريد أن يحـذر زوجـه مما سيحدث .. ولكن صوت الشبحين لا يصل الى مسامع الابن والزوجة معا .. فتكون النتيجة أن يدخل هاملت فى عراك يؤدى بحياته ويدخل أوديب فى صراع يؤدى بعينيه .

ولعل الاختـلاف الوحيـد بين هاملت وأوديب هو أن الأول غير مذنب بينما الأخير مذنب .

أما فى مسرحيـة كوكتو التى تتميز عن مسرحية شكسبير

فنجد أننا أمام فصلين فى وقت واحد ، علينا أن نربط بينهما بالتضاد لا بالاتصال ، فالفصل الأول تدور أحداثه فى نفس الوقت الذى تقع فيه أحداث الفصل الثانى •• والاثنان ينطلقان الى نفس الهدف وهو محاولة منع الكارثة واكتمال المأساة •• فشبح لايوس قد ترك مقره الأخير وجاء الى أسوار طيبة ليحذر جوكاست من الزواج المدنس •• وأوديب قد هجر كورنثة مهد صباه هربا من نفس الزواج المدنس •• ولكن ما هى مكونات الأسطورة من بدايتها ؟

يخبرنا الصوت فى بداية المسرحية بالأحداث قبل أن يرتفع الستار : لابطال نبؤة أبوللون ، تترك جوكاست ، ملكة طيبة ، ابنها فوق الجبل ويحمله الراعى الى بوليب •• كان بوليب وميروب ، ملك وملكة كورنثة يعانيان من العقم •• وكأنما هبط عليهما من السماء الطفل أوديب أو مثقوب القدمين الذى لم تمسه الدببه والذئبة بأذى ، فيتبنيانه » •

« وعندما يشب الفتى أوديب يقصد الى معبد دالف ، ليستشير الاله الذى يقول له : « سوف تقتل أباك وتتزوج من أمك » • عليه اذن أن يتجنب بوليب وميروب •• ويدفعه الخوف من قتل أبيه ومضاجعة أمه الى مصيره » •

« ففى ليلة من ليالى السفر ، وفى المفترق حيث تتلاقى طرق

دالف ودولى ، يتقابل مع كوكبة من الحراس ، فيصـــدمه جواد بقوة ، وينشب شجار ويهدده واحد من الخدم فيرد عليـــه بضربة من عصاه ، وتضل الضربة طريقها ، فتصيب صاحب الموكب وتصرعه • وكان الشيخ المقتول هولايوس ملك طيبة • وعلى هذا النحو تتم جريمة قتل الأب » •

« ويفر الحرس مخافة أن يكون ثمة كمين معد فى هـــذه المنطقة • أما أوديب فلا يرتاب فى شىء ويواصل سيره وفضـــلا عن أنه شاب فهو ممتلىء حماســـة ، لذا سرعان ما ينسى تلك الحادثة •

وفيما هو يستريح فى الطريق ، تصل الى ما معه رواية كائن غريب يدعى أبـــا الهول ، ينشر الذعر حوله ، وكان أبو الهول هذا الكائن الغريب أو « الفتاة المجنحة » أو « الكلبة التى تغنى » ، يفتك بشباب طيبة • فهو يطرح الغزا ويقتل كل الذين لا يحلونه •• وتعرض الملكة جوكاست أرملة لايوس يدها وتاجها على من يقهر هذا الوحش » •

« وكما ينطلق الفتى سيجفريد ، يسرع أوديب والفضول والطموح يفترسانه • ويتم اللقاء •• ترى ماذا حدث فى هـــذا اللقـــاء ؟ » •

قبل أن نعرف ماذا حدث فى الفصل الثانى يجدر بنا أن

نعود الى الفصل الأول حيث يظهر شبح لايوس لجنديين على طريق الدورية فوق أسوار طيبة فى ليلة عاصفة وسط دقات طبول وموسيقى الحى الشعبى •

يصل القائد أولا للتحقيق مع الجنديين واستطلاع أمر ظهور الشبح لهما بعد أن تفشى فى المدينة •• ولا تلبث الملكة أن تصل الى المكان يصحبها تيرزياس •• انها منهكة ، مجهدة ثائرة ، لا تنام ولا تهدأ منذ أن سمعت بأمر شبح زوجها •• لذلك تنهر تيرزياس لأنه لا يعرف سبب ظهور الشبح قائلة له : « وفى أى شىء تفيد عينك الثالثة ؟ ما الفائدة منك اذن بوصفك عرافا » ؟ كما تنهر القائد •• ولكنها تستبقى الجندى الصغير الذى يصف لها كيف كان الشبح يظهر له هو وزميله كل ليلة •

ويخاطب الشبح جوكاست وتيرزياس ولكنهما لا يسمعاه •• وعندما ينصرفان يظهر الشبح للجنديين من جديد ، فيحاول الجندى الصغير أن يلحق بهما فيمنعه الجندى قائلا : « دع الأمراء يديرون شئونهم مع الأمراء والأشباح مع الأشباح والجنود مع الجنود » •

وينتهى الفصل الأول بهذه الحكمة ذات المغزى العميق والتى تسلمنا الى الفصل الثانى ، حيث « تتخيل رجعة فى الزمن ونعيش فى مكان آخر نفس اللحظات التى عشناها الآن معا » •

فوق تل يشرف على طيبة فى ضوء القمر خلف أنقاض معبد صغير وبين أعمدة مهدمة يتحـاور أبو الهول أونيميسيس مع ابن آوى أو آنوبيس حول القتل فيقول أبو الهول الذى يتخذ صورة فتاة « لقد ضقت ذراعا بالقتل •• ضقت ذراعا بالموت أقدمه كل ساعة » •• فيجىء رد آنوبيس قاطعا : « ولا نملك الا الطاعة • السر له أسراره • والآلهة تملك آلهتها • لنا آلهتنا ولهم آلهتهم • هذا ما يسمى باللانهاية » •

وتمر بالمكان مربيـة تصحب ابنها وابنتهـا الصغيرين •• يصطدم الابن بأبى الهول فيتوقف الركب ويدور حـوار عن « الوحش » بطبيعة الحـال •• فتنقل المربية رأى ابنها الذى يشتغل بالسياسة ومؤداه أن « أبو الهول قد مات ولكنـه يظل سلاحا بين أيدى الكهنـة وسببا يتذرع به رجـال الشرطة فى أوزارهم •• فهم يذبحون وينهبون ويرهبون الشعب ثم يحملون أبا الهول كل هذا ، ان أبا الهول يتحمل الكثير •• وبسبب أبى الهول يموت الناس جوعا وترتفع الأسـعار وتجتـاح القرى عصابات النهب ، وبسبب أبى الهول لا تسير الأمور وتتعاقب حالات الافلاس •• ثم يندد بالمذنبين وينادى بالثورة •

وبطريقـة القول المستبعد ، بينما هو الحقيقـة ، يقول الطفل لأمه وهو يشير الى أبى الهول: « أماه •• قولى هـذه

السيدة هى أبو الهول ؟ « فتعتذر الأم لأبى الهول وتتهم ابنها بالبلاهة ، ثم تصحب ركبها تاركة المكان للحدث الرئيسى .. وصول أوديب الذى يشارك الطفل قوله المستبعد بينما هو الحقيقة قائلا لأبى الهول : « أعترف بأنى ظننتك أبا الهول » .

وتحاول نيميسيس بعد أن تخلع رداء أبا الهول أن تخلى سبيل أوديب بعد أن وقعت فى حبه ، ولكنه يتمسك برغبته المحمومة فى ملاقاة « الوحش » .

أوديب : اذا قتلت أبا الهول سأصبح الملك . والملكة جوكاست أرملة سأتزوج منها .

أبو الهول : امرأة كان من الممكن أن تكون أمك !

أوديب : المهم الا تكون كذلك .

ولكنها تصر على انقاذه فتمنحه مفتاح الفكاك من القدر والهروب من المصير المحتوم عندما تقول له : « أنت تعبد المجد » .. ولكن « أليست الطريقة المضمونة لاحباط النبوءة هى الزواج من امرأة تصغرك سنا » ؟ فيعطينا أوديب بدوره مفتاح السر كله والمأساة كلها حين يرفض فكرتها قائلا : « لا ، كلا ! سأجرب حظى » .

وتختفى نيميسيس لحظة لتظهر من جديد وقد ارتدت ثياب أبا الهول .. يصعق أديب من هول المفاجأة ويتشنج من قدميه

حتى رأسه ويبدو كما لو كان يقاوم سحرا • فتطلب منه أن يستسلم ولكنه يقاوم ، فتمطره بوابل من الكلمات الحادة المتقطعة : « لا فائدة من اغماض العينين وادارة الرأس ٠٠ لأننى لست بالغناء ولا بالنظر ، أمارس عملى ، لكننى ، أمهر من ضرير ، وأسرع من شبكة المصارعين ، وأروع من صاعقة وأصلب من حوذى وأثقل من بقرة وأعقل من تلميذ يمط لسانه بالأرقام ، اننى أكثر عدة ، وأشد مرساة ، وأقوى شراعا وأكثر اهتزازا من سفينة وأنزه من قاض وأكثر شرها من الحشرات ، وأدمى من العصافير وأشد ظلمة من البيضة وأكثر دهاء من سفاكى آسيا وأكثر خداعا من القلب وأخف من يد تغش فى اللعب وأشد حتمية من النجوم وأكثر يقظة من الثعبان الذى يبلل فريسته بلعابه ، لذا ترانى أفرز وأخرج من ذاتى وأرخى ثم أكر ثم أبسط ثم ألف بحيث يكفى أن أريد هذه العقد حتى تنعقد وأن أفكر فى شدها فتنشد أو فى ارخائها فتتراخى ، اننى رفيعة فلن تمسك بى ورشيقة فتتصور نفسك ضحية سم زعاف وعنيفة فتكفى حركة لبترك ومشدودة كالوتر ، عكفة كالبحر ، كالعمود ، كالوردة ، قوية العضلات كالأخطبوط ، مركبة كزخارف الحلم ، غير مرئية بصفة خاصة غير مرئية وعظيمة كدورة دماء التماثيل ، أننى خيط يربطك بخطوط متشابكة تشيد العسل وهو يتساقط فوق العسل » •

يصرخ أوديب فتضيق عليه الخناق وتحاصره بكلمات أقصر وأسرع : « وأتكلم وأعمل وأغزل وأبسط وأحسب وأتأمل وأجدل وأذرى وأسرد وأنسج وأشبك من جديد وأعقد وأحل ثم أعقد من جديد حافظة فى ذاكرتى آقل العقد لأرجع اليها عند حلك ، والا فمصيرك الموت • أشد وأرخى وأخطىء وأعود أدراجى وأتردد وأصحح وأتلبك ثم أخلص ثم أحل الرباط ثم أشبكه وأواصل عملى ، أضبط وألصق وأربط وأهزم وأعوق وأجمع حتى تحس أنك من أخمص قدميك الى منبت شعرك مغطى بكل أبازيم واحدة من الزواحف كلما تنفست قطعت عليك أنفاسك فتصبح مثل الذراع الخدرة التى نام عليها صاحبها •• وستطلب الرحمة فأختبرك وأسألك مثلا : ما هو الحيوان الذى يمشى على أربع فى الصباح وعلى اثنتين فى الظهر وعلى ثلاث فى المساء •• فتبحث وتبحث •• وأخيرا أخبرك بالأمراذ أكشف لك عن اللغز •• هذا الحيوان هو الانسان الذى يمشى على أربع عندما يكون طفلا وعلى اثنتين عندما يكون رجلا وعندما يكون هرما يمشى على قدم ثالثة هى العصا •• فتصيح قائلا •• منتهى البلاهة » •

وبالفعل يصيح قائلا « منتهى البلاهة » وذلك عندما تطرح عليه اللغز ، وعندما يردد أمامها الحل ، تسقط وقد مات فيها

أبو الهول •• ويدخل أوديب طيبة منتصرا ويتزوج من الملكة • وعلى هذا النحو يتم « الزواج المحرم » •

« وامعانا من الآلهة فى عبثها ، فانها تجعل ضحيتها تهوى من عل • فتمضى سنوات ، فى نعيم ورفاء •• ويستحفل الأمر عندما تثمر هذه الزيجة الدنسة البشعة ويرزقان ابنتين وولدين هذا والشعب يحب مليكه » طوال سبعة عشر عاما هى فترة الاستراحة بين الفصل الثالث والفصل الأخير •

يتفشى الطاعون نذيرا بالنحس الذى يجثم على حظ أوديب الشهير ويتدفق على أسرته المنكوبة •• « وتتهم الآلهة مجرما مجهولا بتدنيس المدينة ، وتطالب بطرده وبعد عناء البحث ، وبعد أن يسكره الألم والشقاء ينتهى المطاف بأوديب الى حيث لا مخرج ، تغلق عليه المنافذ ، وتتضح الحقيقة ، فتشنق جوكاست نفسها بوشاحها الأحمر ويفقأ أوديب عينيه بمشبك الزوجة المشنوقة الذهبى » •

ولا يعدم تيرزياس تعليقا نهائيا اذ يقول : « ان كبرياءه لا تخونه أبدا ، أراد من قبل أن يكون أسعد الناس جميعا والآن يريد أن يكون أتعسهم على الاطلاق » •

ويهيم أوديب على وجهه فى المدينة تصحبه ابنته أنتيجون ورعاية أمه المقتولة جوكاست •• غير أن المواطنين لا يعيرونه

اهتماما ، فقد « رأوا الملك الذى أراد أوديب أن يكونه ، ولكنهم لن يروا الملك على حاله هذه » .

وكما ظهر شبح لايوس فى البداية ولكن دون أن تراه ، فان شبح جوكاست يظهر فى النهاية ولكن أوديب يسمعه ، يسمع صوتا يقول له : زوجك ماتت ، يا أوديب المسكين أنا أمك » .

كما أن الخطوات التى يعدونها معا فى النهاية « أوديب وأنتيجون وشبح جوكاست » والتى ترد على الخطوات التى كانت تعدها « جوكاست وتيرزياس والجندى الصغير » فى البداية ، تبين أن الدائرة بدرجاتها الألف قد أغلقت .

« وبعد السعادة المزيفة يعرف الملك التعاسة الحقيقية والاندثار الحقيقى الذى يجعل آخر الأمر من هذ الملك بعد أن كان ملك ورق تلعب به الآلهة القاسية « مجرد انسان » .

وهنا .. وهنا فقط .. يكف أوديب عن التصرف كبطل وكملك ويبدأ فى التصرف كانسان عادى .. مجرد انسان عادى .. ولكن الوقت يكون قد فات .

الأسطورة وروح العصر :

يقول كوكتو فى تقديمه لمسرحية « أنتيجون » هذه تجربة لتصوير بلاد الاغريق من فوق طائرة تصويرا يكشف عنها

منظرا جديدا .. هكذا حاولت ترجمة أنتيجون ترجمة اذا ما قرأت قراءة خاطفة اختفت أشياء رائعة الجمال وظهرت بدلا منها أشياء أخرى حتى تتكون لدى القارىء مجموعة لقاءات قوامها ظلال وزوايا ونتواءات غير متوقعة .. وربما كانت محاولتى وسيلة لاحياءالدور القديمة التى من فرط معايشتنا لها أصبحنا نتأملها دون وعى أو انتباه . ولكن رغم تحليقى فوق نص شهير سأجعل كل واحد يسمعه كما لو كان ذلك لأول مرة » .

وعندما يقول كوكتو ذلك عن « أنتيجون » التى كتبها سنة ١٩٢٨ انما تجىء تجربته التالية « الآلة الجهنمية » التى كتبها سنة ١٩٣٤ مصداقا لقوله وتدعيما له .

ولقد أراد كوكتو أن يوازن بين الأسطورة القديمة والحياة المعاصرة بحيث لا يظهر من الأسطورة غير جوهرها .. ففيما عدا الموضوع القديم الذى يصعب وقوعه فى العصر الحديث فان صخب المدينة وارتفاع أسعارها وثورة أبنائها وعجز السلطات أمام التهديدات الخارجية والمتمثلة هنا فى أبى الهول ، وجوكاست التى تبدو وكأنها ملكة من ملكات مجتمع المقاهى بمداعبتها لتيرزياس وغزلها للجندى الصغير الذى يذكرها بابنها المهجر فوق الجبل أو أوديب الذى ستداعبه يوما وهو زوجها .. كل

هذا لايمكن أن يكون قد حدث قديما فى طيبة ولكنه من الممكن أن يحدث اليوم فى باريس أو لندن أو أى عاصمة متحضرة أخرى •

ان الأحداث الأسطورية الخفية قد بدت أمامنا عارية ومحتومة وذلك من خلال « الصوت » وهو يعرض لها فى المقدمة وفى بداية كل فصل من فصول المسرحية الأربعة •

وهكذا يضعنا كوكتو مباشرة أمام الأحداث حتى قبل أن تقع ••وعلى هذا فان ما يسمى « بالعقدة المسرحية » لا نعثر له على وجود حقيقى على الرغم من وجوده الفعلى • فعنصر « التخدير التمثيلى » لدى المشاهد قد طمسه « الصوت » الذى يحل محل الكورس الاغريقى •• ذلك أن المشاهد يعرف كل شيء مقدما وان كان سرعان ما ينساه فضلا عن اندماجه فى الأحداث من جديد شأنه فى ذلك شأن من لم يعرف شيئا على الاطلاق •

لقد عمد كوكتو الى التخفيف من حدة الدراما والخفض من درجة حرارتها حين استعاض عن اثارة الأعصاب وقلق الترقب وشدة التوتر والمفاجآت الرخيصة بالمادة السخية الرفيعة •

وكذلك فعل كريستيان بيرار الذى وفق توفيقا مطلقا فى

تصميم ديكورات العرض الأول على مسرح لوى ـ جوفيه فى العاشر من ابريل سنة ١٩٣٤ ٠

ومرة أخرى قدمت المسرحية باخراج جديد وديكور جديد وأداء جديد تحت قيادة جان ـ ماريه فنجحت نجاحا لا يقل عن النجـاح الأول ٠٠ ثم قـدمت المسرحيـة فى التليفزيون الفرنسى ٠٠ وبعد ذلك انتشرت على مسارح أمريكا وانجلترا وألمـانيا وتشيكوسلوفاكيا باخراج مختلف وديكور مغاير وأداء متميز ٠

أما ديكور بيرار فقد صمم على هيئـة « مهد » تطوقه السماء وتتطاير حوله ستائر أرجوانية ٠٠ بينما فراش العرس الحرام يبدو كـكومة من الحطب المعد لاحراق مجرم أو كمذبح مقدس للفداء تلفه اضاءة ليلية متوهجة ، زرقـاء ضاربـة فى السواد وكأنها نار الحريق الذى يندفـع اليه أبطـال العائلة الجهنميـة ٠

أوديب هى النموذج :

ان مأساة أوديب مثال فريد للمسرحية ٠٠ انها « مأسـاة شديدة العمق ، رائعة الجمـال » كما يقول فرنسيس فرجون الذى وضعها ممثلة فى مسرحيتى « أوديب الملك » لسوفوكليس و « الآلة الجهنمية » لكوكتو فى كتابه القيم « فكرة المسرح »

على رأس عشر مسرحيات هي بالاضافة الى المسرحيتين السابقتين: « بيرينيس » لراسين و « تريستان وايزولدة » لفاجنر و « هاملت » لشكسبير و « بستان الكرز » لتشيكوف و « الأشباح » لابس و « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » لبيراندللو و « نوح » لاوبى و « جريمة قتل فى الكاتدرائية » لاليوت .

ولأن « مأساة آوديب » تكاد تكون الموضوع الوحيد الذى يخدم « فكرة المسرح » كفن عريق فان تكالب كتاب المسرح عليها عبر الأجيال وبمختلف اللغات لا يصبح آمرا غريبا ولا مستغربا .. كذلك لا يصبح غريبا ولا مستغربا تكالب علماء النفس والمؤرخين والأخلاقيين على بحثها وتفسيرها وتحليلها .

ففى عالم المسرح الدرامى كتب روبير جارنييه « أنتيجون أو الايمان » سنة ١٥٨٠ وكتب كورنيى «أوديب» سنة ١٦٥٩ .. وكتب راسين « طيبابيد » سنة ١٦٧٦ .. وكتب فولتير «أوديب» سنة ١٧١٨ وكتب جيد « آوديب » سنة ١٩٣٢ .. وكلهم من فرنسا ، كما كتب توفيق الحكيم من مصر مسرحية « أوديب » سنة ١٩٤٩ .. هذا فضلا عن اسخيلوس وسينيك وسوفوكليس وكوكتو .

وفى عالم المسرح الموسيقى وضع لوبالاديو أوبرا « آوديب » سنة ١٥٨٥ .. ووضع أندريا جابرييلى أوبر

« أوديب » سـنة ١٩٦٨ •• وهما من ايطـاليا ، كما وضـع ستراتفنسكى من روسيا أوبر « أوديب ملكا » سنة ١٩٢٧ •

وفى عالم السينما كان آخر ما قدم عن « مأساة أوديب » فيلم من اخراج الايطـالى بيير و باولو بازولينى ، صـورت مناظره فى جنوب المغرب وعرض لأول مرة فى مهرجان فينيسيا عام ١٩٦٧ وقام بدور أوديب فرانكوسيتى وبدور جوكاست سيلفانا مانجانو •

أما فى مجال التفسير والتحليل فنقتصر هنا على الاشـارة الى نظرية فرويد المسماة « عقدة أوديب » •• وهى تمثل الرجوع الى رحم الأم ، فعمى أوديب يمثل باعمق معانيه رجوعا حقيقيـا الى ظلمة رحم الأم ، واختفاء أوديب النهـائى وراء صخرة فى العالم السفلى يعبر مرة اخرى عن نفس الرغبـة المتجهـة نحو العودة الى الارض الأم • ان الانسـان ، كما يقول صـمويل بيكيت ، يخرج من ظلمة الرحم الى ظلمة القبر مارا بظلمـة الحيـاة » •

« ان البحث عن أى مغزى أخلاقى فى العمل الفنى من شأنه القضـاء على الفن والأخلاق جميعا » •

ولكن كوكتو برغم ذلك يرمى الى التعبير عن ثورة النفس البشرية على خطر الآلية وبشاعة المـادية لأنها النكبات الحقيقية

التى تحل بالانسان .. ففى الحضـــارة الحديثة قدر الانسان ومصيره ، فيها يحس بأنه لا يزيد فى كثير أو قليل عن ترس فى آلة .

فكيف تحولت شخصـــيا كوكتو الى تروس فى « الآلـــة الجهنميـــة » ؟

لعل تغافل جوكاست الثقب الذى رأته فى قدمى أوديب ليلة عرسهما المدنس وسعيها نحو اتمام هـــذا الزواج البشع بارادة مخيفة كفيل بأن يحولها الى ترس كبير فى « الآلة الجهنمية » .

ولعل معرفة تيرزياس بكل شىء مقدما دون أدنى محـــاولة منه لمنع الكوارث قبل وقوعها ، كما تؤكد ذلك عبارة جوكاست التى تواجهـــه بها : « دائما تعطل الانطـــلاق وتمنع دائمـــا وقوع المعجزات .. ولسوف تحدث مصائب وكوارث رهيبـــة وعنئذ ســـتكون غلطتـــك ككل مرة .. » وكذلك اصراره فى النهاية على منع كريون من التصـــدى لاحدى هـــذه الكوارث كفيـــل بأن يحوله هو الآخر الى ترس كبير فى نفس « الآلـــة الجهنمية » .

ثم آنوبيس الذى يمنع أبا الهول من كشف الحقيقة لأوديب وأبو الهول نفسه الذى يرضخ لتحذيرات آنوبيس من كشف الحقيقة كلاهما ترس ولاشـــك قوى فى تلك الآلة .

وشبح لايوس الذى يظهر للجنديين دون القائـد والملكة وكبير الكهنـة ، ولكنه لايتمكن من توصـيل تحـذيراته حتى للجنديين ، يتحول هو الآخر وان كان بالرغم منه الى ترس سلبى فى هذه الآلة الايجابية .

ومن هنا كانت المسرحية فى صميمها ادانة للعصر الحديث كله تحت غطاء أسطورة قديمة وصرخة احتجاج على الآلة تحت غطاء الآلهة والأقدار .. وهـذا ما عبر عنه كوكتو حين توجه الى المتفرج قائلا : « شاهـد أيها المتفرج آلة من أدق الآلات تصميما ضبطت بحيث تدور حركتها متصلة بطيئة طوال حيـاة انسانية معينة وقد صنعتها الآلهة الجهنمية لتحطم بها وبطريقة رياضية بحتة واحدا من بنى الانسان » .

الانسان الذى يقف أمام أبى الهول يتلقى السؤال وليس له أن يحـاول فهم كلماته أو كلمات اللغز الذى يطرح عليه .. فليس هنـاك سوى جواب واحد ممكن .. جواب واحد لكل شىء : الانسان .

وفى مقابل آلية هذا الانسان تتبدد ارادته القوية .. ولكنها ارادة الاندفاع نحو الهلاك دائما .. فالجندى الصغير يريد أن يسجل اسـمه بين « الذاهبين الى أبى الهول » ، ليموت بين يديه .. وأبو الهول يتعمد حل اللغز أمام أوديب لتموت فيه آلة

الهلاك .. وأوديب ينتزع اعترافا من تيرزياس يكشف عن الحقيقة التى تسلمه الى الشقاء الأبدى .

ذلك الشقاء المكتوب على جبين الانسان منذ الأزل والذى يتهدده على امتداد الحياة ، وقد رمز له كوكتو بالوشاح والمشبك اللذين يترددان كاللحن الدال منذ بداية المسرحية ، الأول تشنق به الأم نفسها والثانى يفقأ به الابن عينيه .. ثم تلك العبارات « فوق الطبيعية » التى تبرز بالرمز الفكرة المثيولوجية نفسها أو فكرة « القدر والمكتوب » ، تقول جوكاست لأوديب: « أتريد أن أخرج هذا المهد ؟ » أوديب : (دون أن يدرى أنه مهده) سيكون مهد حظى .

جوكاست : (وهى تحاول حمله) يا لك من طفل كبير لا تثقل نفسك ، ساعدنى .

أوديب : (دون أن يدرى أنها الحقيقة) حاضر ، يا أمى الصغيرة العزيزة .

جوكاست : (دون أن تدرى انه ابنها فى الحقيقة) يا له من طفل ها هو ذا يعتبرنى أمه .

أوديب : كلما كنت أبتعد عن مدينتى وأقترب من مدينتك كان يخيل الي أنى أقترب من بيتى .

لكن أوديب لم يكن يدرى أنه جاء الى بيته بالفعل ..
جاء ليكمل فصول الكارثة المروعة ويضع نهاية لتلك « المأساة الرائعة » كما وصفها تيرزياس فى ختام المسرحية .

أما فى بداية المسرحية فتقول جوكاست : « لو كان لى ابن، لكان جميلا شجاعا لحل اللغز وقتل الوحش وعاد منتصرا » وهى لا تدرى أن ابنها لايزال حيا وأنه سيقتل أبا الهول ويتزوج منها بالطريقة التى تذكرها على أنها دعابة فتقول : « كل الأطفال الصغار يقولون أريد أن أصبح رجلا لأتزوج من أمى » .

ثم نلحظ التركيز على «الأشياء» التى تؤثر فى حياة «البشر» بل وتؤثر كذلك فى « الخط الدرامى كله » .. فجوكاست تتحدث عن مشبكها الذهبى قائلة : « هـذا المشبك الذى يفقأ عين الجميع » ، والواقع أنه سيفقأ عينى أوديب وحده .. ثم تصرخ فى وجه تيرزياس قائلة : « قدمك فوق ذيل الوشاح » . كدت تخنق الملكة » ، وتعود فتعتذر له قائلة : « ولكن لست ناقمة عليك أنت .. بل على هـذا الوشاح انى محاطة بأشياء كثيرة تكرهنى طوال اليوم وهـذا الوشاح يخنقنى ، مرة يعلق بالأغصان ومرة أخرى يلتف حول عجلة العربة وأخيرا تسير أنت عليه ، انه أمر مقصود .. أصبحت أخاف منه ولا أجرؤ على التخلى عنه .. هذا مخيف مخيف ، سيقتلنى . « وبالفعل يقتل الوشاح جوكاست عندما تخنق به نفسها قبيل النهاية .

ولعله قد اتضح ، فى النهايـة ، أن مسرحيـة « الآلهـة الجهنمية » هى متعة حقيقية لا تعد لها متعة ومأساة متكاملة تكمل « أنتيجون » ، أو ان أردنا دقة التعبير قصيدة دراميـة تتغنى بالارادة الحرة لدى الانسان فى مواجهة اله قديم اسمه « القدر » واله جديد اسمه « الحظ » !

أنتيجــون

مسرحية : جان كوكتو

● أنتيجون

● كوكتو

أنتيجون : ايسمن .. اختاه .. أتعرفين كارثة واحدة ضن بها جوبيتر علينا .. على نسل أوديب ؟ حسنا .. سأخبرك بكارثة أخرى .. خسنى العار الذى يعده لنا أعداؤنا .

ايسمن : لن أخمن .. منذتقاتل أخوانا ومنذ اختفى أهل أرجوس وأنا لا أرى شيئا يستطيع أن يجعلنى أكثر بؤسا أو أكثر سعادة .

أنتيجون : اصغى الى .. لقد جعلتك تخرجين من الممر كى لا يسمعنا أحد .

ايسمن : ما الخبر .. عيناك تبعثان الرعب فى قلبى .

أنتيجون : تسألينني ما الخبر ؟ هيه .. ألم يأمر كريون بدفن واحد من أخوينا ورفض دفن الآخر ؟ سيلقى أتيوكل مراسم الدفن التى يستحقها .. أما بولينيس فقد حرم

دفنه أو بكائه .. وان تترك جثتـه للغربان .. تلك هى الأوامر التى يعلنها النبيل كريون لك ولى .. نعم لى .. سـوف يأتى بنفسه الى هذا المكان ليقرأ علينا مرسومه .. انه يعلق أهميـة كبرى على تنفيذ مرسـومه وأوامره ومن يخالفهـا يرجمه النـاس بالحجارة .. هذا كل ما فى الأمر .. آمل أنك سوف تظهرين معدنك الأصيل .

ايسمن : لكن ماذا عسانى أستطيع ؟

أنتيجون : قررى ما اذا كنت تعاونيني .

ايسمن : فى مـاذا ؟

أنتيجون : فى حمل الجثمان .

ايسمن : تريدين دفنه رغما عن الملك ؟

أنتيجون : نعم سأدفن أخى وأخاك .. أقول أخاك .. ولن يقول انسان انى تركته نهبا للوحوش .

ايسمن : أينها البائسة .. رغم تحذير كريون ؟

أنتيجون : هل له الحق اذن فى أن يفصلنى عن أسرتى ؟

ايمسن : أنتيجون .. أنتيجون .. ان أبانا المسكين قد مات فى الوحل بعد أن فقـأ عينيه ليكفر عن جرائمـه

وأمنا •• التى كانت أمه •• شنقت نفسها •• وتقاتل أخوانا •• تصورى النهاية المشئومة التى تنتظرنا نحن الاثنتين الوحيدتين •• لو أننا تحدينا ارادة سادتنا • نحن نساء يا أنتيجون •• نساء لا تعرف كيف تقهر الرجال •• الذين يحكمون أقوى منا •• فليسامحنى بولينيس •• ولكننى أرضخ •• سأذعن للسلطة •• فمن الجنون أن يحاول المرء ما ليس فى طاقته •

أنتيجون : لن أجبرك ••انك ان عاونتينى فستعاونينى مكرهه•• افعلى ما يحلو لك أما أنـا فسأقوم بدفنه وسيحلو لى بعد ذلك أن الاقى الموت •• فسيرقد صديقان جنبا الى جنب بعد هذه الجريمة العزيزة لأن الوقت الذى ينبغى على أن أرضى فيه الموتى يا ايسمن أعظم من الوقت الذى ينبغى على أن أرضى فيه الاحياء •• سلوكك يخصك •• احتقرى الالهة •

ايسمن : أنـا لا أحتقرها •• انى أشعر بعجزى عن الكفاح ضد مدينة بأكملها •

أنتيجون : انتحلى الاعذار •• أنـا سأعد له المقبرة •

ايسمن : يا لك من مجنونة •• انى أرتعد من أجلك •

أنتيجون : دعينى وشأنى •• فكرى فى نفسك وحسب •

ايسمن : على الأقل لا تفصحى لأحد عن هــذا المشروع .. أخفيه كما سأخفيه أنــا .

أنتيجون : لا تخفى شــيئا .. فانى لا أرغب فى تكتمك قدر ما أرغب فى انصاحك .

ايسمن : رطبى من حرارة هذا القلب المتوهج .

أنتيجون : لن أفعل .. أعرف انى أرضى حيث ينبغى على أن أرضى .

ايسمن : حقا .. اذا كان كل شىء على ما يرام .. لكنــك تحاولين المستحيل .

أنتيجون : سأتوقف عند قصارى جهدى .

ايسمن : علام العدو خلف الريح ؟

أنتيجون : اذا تمســكت بموقفــك .. ستصبحين بغيضة الى نفسى .. وستثيرين كراهية الميت .. اتركينى وحدى مع مشروعى .. فاذا فشل مت عندئذ مليئة بالفخار .

ايسمن : (تصعد الدرج الأيمن) حسنا .. اذهبى اذن أيتها المجازفة .. ان عاطفتك تلقى بك فى التهلكة .

(تخرج .. تبقى أنتيجون وحدها .. تستعد لليوم كله .. تختفى من الكواليس الأيمن) .

الجوقة : لقد فر أهل أرجوس مسرعين تحت بصرك المجنون أيتها الشمس .. كانوا قد جاءوا على أثر بولينيس ومطالبه الواهية .. ان جوبيتر يكره الغرور .. لقد ضرب بصاعقة روح الكبرياء ودروعه .. أما القواد السبعة الذين كانوا يتجهون ناحيــة أبوابنا السبعة فقد تركوا أسلحتهم ولم يبق فى المكان الا أخوان عدوان .. والآن تربع النصر فى طيبة .. والشعب يغنى .. لكن ها هو كريون مليكنا الجديد .

كريون : (على باب اليسار) .. أيهــا المواطنون .. لقد أنقذت الالهة هــذه المدينــة من الغرق .. وقــد جمعتكم جميعا وأنــا أعلم احترامكم لبيت لايوس.. واخلاصكم لأوديب وأبنائه .. لقد تقاتل الأبنــاء وانتقلت السلطة كلها بين يدى .. وقبل أن يثبت المرء وجوده يصبح من الصعب معرفته .. بالنسبة لى .. فانى ألوم من يحكم دون مشورة المحيطين به .. وألوم أيضا الرئيس الذى يضحى بالمجموع فى سبيل فرد واحد .. لن أتملق خصمى مطلقا .. فالأمير العادل لا يعدم صداقة أحد .. تلك هى مبادئى .. من أجل هذا أمليت المرسـوم الخـاص بأبناء أوديب .. اتيوكل جندى فلنكرمه أما بولينيس فقد عاد من المنفى ليحرقنا .. ليهيننا .. ليحولنا الى

رفيق .. لذا أحرم تكريمه .. وأمر أن تصبح جثته نهبا للكـــلاب والغربان .. أنا لا أخلط أبـــدا بين الفضيلة والجريمة .. لقد قلت .

الجوقة : أحسنت يا كريون .. لك حرية التصرف فى الموتى، وفينـــا .

كريون : نفذن أمرى .

الجوقة : كلف الشباب بتنفيذه .

كريون : ان حراسا يراقبون الجثة .

الجوقة : اذن ماذا يجب علينا أن نفعل ؟

كريون : يجب أن تكن ذا صلابة ازاء عصيان القوانين .

الجوقة : لا يوجد شخص بهذا القدر من الجنون حتى يبحث عن الموت .

كريون : سيكون الموت جزاءه .. لكن الأمل فى الحصـــول على المـــال غالبا ما يجعل الناس يفقدون صوابهم .

حـــارس : (يدخل .. يركع ويتكلم) .. أيهـــا الأمير .. لا أستطيع القول بأنى أطير نحوك .. هـــذا لا .. لقد توقفت كثـــيرا فى الطريـــق .. كنت افكر . لا تذهب .. لا تذهب .. لكن من ناحية أخرى اذا

عام كريون من أحد فأنت تخاطر أكثر •• الطريق قصير •• لكن الطريق كان طويلا •• باختصار •• باختصار •• ليس عندى شىء حسن أخبرك به •

كريون : ما الذى يربكك ؟

الحارس : سأقول أولا الذى يخصنى •• لست أنا •• ليست غلطتى ولا أعرف من هو •• ستكون غير عادل فى معاقبتى •

كريون : انت تعقد الأمور من حولى •• تبدو لى وكأنك تزجى ببطء خبرا مؤسفا •

الحارس : الهول بقطع الأذرع والأرجل •

كريون : تكلم •• وبعد ذلك سوف تذهب •

الحارس : اذن •• أتكلم •• لقد مجدوا الميت •

كريون : هيه ؟ من الذى واتته الشجاعة اذن ••

الحارس : لم ير •• ولم يعرف •• ولم يكتشف ضربات فأس •• ولا ضربات معول •• ولا آثار أقدام •• ولا علامات عربة •• لا شىء يكشف عن المجرم •• ففى الصباح الباكر كان الجسد قد اختفى تحت طبقة من الثرى

بالقدر الذى يجنب انتهاك الحرمات ..بالطبع كان كل منا يلوم نفسه ويثور .. وكنا سنتضارب .. كل المنطقة كان مشكوكا فيها ولا يوجد اثبات ضد أحد .. لقد أقسمنا على أن نسير دون خوف فوق الجمر .. وعلى أن نمسك بقطعة من الحديد المتوهج فى ملء أيدينا حتى يظهر المجرمون والمشتركون فى الجرم .. وفى النهاية تقرر ان يقال لك كل شىء .. فسحبت القرعة وكنت أنا كبش الفداء .

الجوقة : أيها الأمير .. انا تتسائل ان لم تكن هذه هى ارادة الآلهة .

كريون : كفى سخفا .. أيتها الهرمات ، الآلهة لا تدفن حارقى المعابد وهادمى العبادة وناهبى الهبات هل رأيتن الآلهة أبدا تتملق الشر ؟ لا وألف مرة لا .. لكن هذا العمل يفتح عينى .. كنت أعلم .. كنت أعلم من قبل أن خونة فى هذه البلاد يتذمرون ضد نيرى .. وان خونة يثورون خفية .. انهم يدفعون للمجرمين .. لقد ابتكر البشر المال .. المال .. المال الخسيس .. المال يخرب المدن .. ويحول القلوب المستقيمة .. ويفسد كل شىء ..

هؤلاء الذين أفسدهم المـال فدفنوا بولينيس ..
حفروا قبورهم بأيديهم .. اذا لم تحضروهم لى ..
سأشنقكم حتى يساقوا الى .

الحارس : على أى حال لست مذنبا .

كريون : لن يدهشنى هـذا أيها الرجـل الشـجاع .. انك انسان تباع بقليل من المـال .

الحارس : من المحزن أن يخطىء أمير عادل هكذا .

كريون : انه يحكم على .. ماذا بعد ذلك .

الحارس : يمكننا اكتشاف المجرمين .

(يخرج .. كذلك يخرج كريون)

الجوقة : الانسان لا يوجد مثله .. الانسان يجوب البحار.. الانسـان يحـرث الأرض .. الانسـان يطـارد الحيوانات .. الانسان يصطاد الأسماك .. يكبح جماح الخيل..يفكر .. يتكلم..يبتكر القوانين .. يستدفىء ويغطى منزله .. يتخلص من الامراض .. الموت هو المرض الوحيـد الذى لا يشفى منه .. بفعل الخير والشر .. يكون رجلا صالحا اذا استمع لقوانين السماء والأرض .. لكنه لا يكون صالحا

اذا لم يستمع اليها مطلقا .. ليت المجرم لا يكون ضمنا أبدا .. أيتها الالهة يا لها من أعجوبة غريبة.. انها غير معقولة ولكنهـا حقيقـة .. أليس كذلك يا أنتيجون ؟ أنتيجون .. أنتيجون .. أكان لك أن تعصى ؟ أكان لك أن تكونى مجنونة الى هذا الحد حتى تهلكين نفسك .

(من كواليس اليمين ترى أنتيجون تدخل أولا ، يد الحارس فوق كتفها ، ثم الحارس يدفعها)

الحارس . قبض عليها متلبسة .. أين كريون ؟

الجوقة : ها هو يخرج .

كريون : ماذا يحدث ؟

الحارس : أيها الأمير .. أعادنى الحظ الى حيث لم أكن أعتقد انى سأضع قدمى .. استجوب هذه الفتاة .. انها مذنبـة .

كريون : أين وكيف قبضت عليها ؟

الحارس : كانت تدفن الجثة . قبضت عليها ويدها فى الحقيبة .

كريون : هل تقسم على هذا ؟

الحارس : نعم .. اقسم على هذا .. كانت تدفن الرجل .

كريون : اعطنى تفصيلات .

الحارس : خشيت تهديداتك .. رفعنا الرمل عن الجثة وتركناها عارية تماما على الأرض ، بعد ذلك جلسنا على رابية معرضة للهواء هربا من الرائحة .. ثم قمنا بدعابات حتى لا ينام أحد .. وفجأة فى الظهيرة تهب عاصفة رملية تطيح بفروع الأشجار .. وتفقأ عيوننا .. بعد ضرب الريح هذا رأينا الفتاة تقف بجانب الجثة .. كانت تصرخ بكل قواها .. غطتها بالثرى وأخرجت اناء من تحت ثوبهـا وبدأت تسكب منه .. قفزنا وأوقفناها بقبضة يد .. واستجوبناها واعترفت دون أدنى مقاومة .. آسف لابدال حياة بأخرى .. لكن المذنبين هم المذنبون .. وسيدة أليس كذلك ؟ من الطبيعى أن أنقذ جلدى أولا .

كريون : وانت .. انت ؟ بعينيك المسبلتين تنكرين ؟ تعترفين ؟

أنتيجون : لقد فعلتها .. انى أعلنها .

كريون : (للحارس) اذهب مسرعا وعلق نفســك فى مكان آخر .. لك حريتك

(لأنتيجون) هل كنت تعرفين تحريمى ؟

أنتيجون : نعم .. لقد كان علنا .

كريون : وتجاسرت على مجاوزته ؟

أنتيجون : لا لم يكن جوبيتر يعلن مثل هذا التحريم .. لا ولم تفرض العدالة قوانين من هذا النوع .. ولم أكن أعتقد أن مرسومك استطاع أن يجعل نزوة رجل تفوز على قاعدة الخالدين .. تفوز على هذه القوانين التى لم تكتب .. والتى لا يمحوها شيء انها لم تخلق لا من اليوم ولا من الأمس بل هى من الأبد ولا يعرف أحد تاريخها .. هل يجب على اذن خوفا من خاطرة رجل عصيان الهتى ؟ كنت أعرف أن الموت فى نهاية فعلتى .. سوف أموت شابة .. حسن .. الشقاء عندى كان فى ترك أخى بلا قبر والباقى عندى سيان .. والآن اذا اعتبرتنى مجنونة تستطيع أن تكون مجنونا كذلك .

الجوقة : من هذه الصلابة الطبيعية تعرف ابنة أوديب ، انها تتمسك بالشقاء .

كريون : لكنى أعلن ان هذه النفوس الصلبة الى هذا الحد تكون أقل قوة .. ان الحديد الأكثر صلابة هو الذى ينكسر .. شكيمة صغيرة تهدىء جوادا أغبر .. هذا

كثير من الكبرياء بالنسبة لأسيرة واضح انها تهينني عن عمد . تسخر مني وتتباهى بذلك .. انها هى التى ستكون الرجل اذا تركتها تفعل .. مع انى أخو جوكاست لا هى ولا شقيقتها ستتجنبان مصيرهما التعس .. لأن اسمين يجب أن تكون شريكة فى الجرم انى افترض .. ليؤتى بها الى..لقد لمحتها منذ قليل فى القصر مذعورة كخفاش .. النفوس السوداء تغدر بسرعة .. لكن ما احتقره هنا خاصة هو المجرم الذى يقبض عليه متلبسا .. ومع ذلك يندمج فى تنسيق جريمته .

أنتيجون : هل تطلب شيئا أكثر من موتى ؟

كريون : لا .. (أنتيجون وكريون يتكلمان وجبهتاهما متلامستان)

أنتيجون : اذن لماذا تتوانى ؟ انت تسأمنى وأنا أسأمك .. كل هذا الجمع كان سيصفق لولا الخوف الذى يشل اللسان .. ان الاستبداد بالاضافة الى ألف امتياز آخر يتيح له أن يقول ويسمع ما يريد .

كريون : أنت الوحيدة فى طيبة التى تفكر خطأ .

أنتيجون : اذن كلهم يفكرون خطأ .. لكنهم يسكتون فى حضرتك .

كريون : ألست خجلى ؟

أنتيجون : خجلى من تمجيد أخى ؟

كريون : وأخوك اتيوكل ألم يكن أيضا أخاك ؟ اتيوكل مات عندنا .

أنتيجون : كنا من الأب والأم نفسيهما .

كريون : لماذا تقومين اذن بتمجيده تمجيدا غير وطنى ؟

أنتيجون : ما هكذا وضع الميت فى قضيتى .

كريون : ماذا ؟ أتخدمين الخائن ؟

أنتيجون : لقد مات ليس كعدو له ولكن كأخيه .

كريون : كان قد جاء يهاجم وطنه .. أما الآخر فقد كان يدافع عنه .

أنتيجون : الموت يريد قانونا واحدا للجميع .

كريون : لكن المهاجم والمهاجم لا يجب أن يعاملا بالمثل .

أنتيجون : من يعلم اذا كان لحدودك معنى عند الموتى ؟

كريون : العدو الميت لا يصبح صديقا أبدا ؟

أنتيجون : ولدت لاقسم الحب وليس الكراهية .

كريون : انزلى اذن عند الموتى .. احبى من يروق لك .. لكن فى حياتى لن تسن القوانين امرأة أبدا .

الجوقة : ها هى المسكينة اسمين تبكى .. الأسى يشوهها ويبلل خديها .

كريون : آه .. ها أنت ذى أيتها الحية .. هيا تكلمى تعرفين أو لا تعرفين خائن الملك ؟

اسمين : اذا اعترفت أختى اعترفت .. وطلبت تحمل النتائج .

أنتيجون : الحكمة تمنعك من هذا ، فأنت لم تتبعينى وقد فعلتها وحدى .

اسمين : أنت بائسة أريد أن أتبعك .

أنتيجون : متأخرا جدا يا اسمين .. متأخرا جدا .. الجحيم والذين يسكنونه شاهدونى أفعل .. أنا قليلا ما تهمنى أخت تحبنى بالقول .

اسمين : آنتيجون .. لا تسلبى منى شرف الموت معك .. شرف دفن شقيقنا .

أنتيجون : لا تموتين معى ولا تتباهى يا صغيرتى يكفى أن أموت أنا .

اســمين : بدونك .. كيف أستطيع أن أحب الحياة ؟

أنتيجون : اسألى كريون .. ألست لعبته المطيعة ؟

اســمين : لمـاذا تجرحيننى بسخرية ؟

أنتيجون : اضحك عليك ضحـكة ليست شنيعة .. لا أسخر الا وأضر بنفسى .

اســمين : كيف أخدمك ؟

أنتيجون : انقذى أيامك .. لا أحسدك على هذه الفرصة .

اســمين : اتتركينى أتقاسم نصيبك ؟

أنتيجون : لقد اخترت الحياة بينما اخترت آنـا الموت .

اســمين : كنت قد نصحتك كثيرا .

أنتيجون : كانت نصائحك طيبة .. وجدت قرارى أفضل .

اســمين : خطؤك هو خطؤنا معا .

أنتيجون : اطمئنى سوف تعيشين .. لقد مات قلبى منذ زمن بعيد ولا يستطيع أن يخدم الا الموتى .

كريون : هاتان الفتاتان مجنونتان تماما .

اســمين : لاقينا ما يدعو لفقدان العقل .

كريون : هذا ما يحدث لك عندما تحاولين أن تتقاسمى باصرار عقاب المجرمين .

اسمين : بدون أنتيجون كيف تريد لى أن أعيش ؟

كريون : لا تتكلمى عنها مطلقا فقد ماتت .

اسمين : سوف تقتل خطيبة ابنك .

كريون : سوف يجد خطيبة أخرى .

اسمين : انه الزواج الوحيد الذى يريده .

كريون : لا أقبل زوجة ابن شريرة .

أنتيجون : أواه .. هيمون العزيز كيف يعاملك أبواك .

كريون : تبدأين فى مضايقتى أنت وعرسك .

الجوقة : هل تستطيع أن تحرم ابنك من الفتاة التى يحبها ؟

كريون : الموت هو الذى سيفسخ الزواج .

اسمين : موتها اذن أكيد ؟

كريون : مؤكد .. كان وقتا ضائعا .. أيها الحراس اقبضوا على هاتين السيدتين .. ان اشجع الناس يهربون عندما يأتى الموت .

(يخرجون)

الجوقة : سعداء هم الأبرياء ، لقد حط الهلاك على هذه العائلة .. فى بيت اللبداسيدين أرى مصائب جديدة تتكدس على الشيوخ .. يطاردهم الاله دون توقف . جوبيتر الا تغفل أبدا .. أبدى الشباب تسكن الأولمب .. لكن الجنس البشرى لايمكن أن يتمتع بسلام لا تشوبه شائبة .. ولا يتحاشى أى نكبة لانه اذا قادنا اله الى هلاكنا فانه يغير مكانى الخير والشر .. لكن ها هو هيمون ترى هل جاء شاكيا .

كريون : يابنى انك تعلم الجريمة والعقاب .. جئت الينا عاصيا ؟ أم نحن اعزاء عليك لازلنا ؟

هيمون : انى انحنى .. انه ليس بزواج هذا الذى يقف ضد نصائحك الحكيمة .

كريون : حسنا قلت .. الابن ينبغى أن يطيع .. فيما يفيد الأبناء ؟ فى أن يحبوا أصدقاءنا وان يلحقوا بأعدائنا كل الشر الذى يستحقونه .. ان الانسان ليهلك بين ذراعى زوجة مشينة .. اترك اذن هذه الفتاة تتزوج من شخص آخر فى الجحيم .. انها تتكلم عن قوانين جوبيتر .. عن قوانين الدم .. قف ..

اذا احتملت ثورة اقربائى فماذا انتظر من أهل طيبة ؟
قاس على الجميع..غير قاس على أحد..أنا لا أتملق
من هو ضد الحكم .. لا يوجد داء أخطر من
الديكتاتورية .. انها تخرب المدن وتطمس العائلات
وتبيد الجنود فاذا كان الدكتاتور امرأة هنا تكون
الكارثة .. من الأفضل التخلى لرجل .. فلن يقال
انى تركت نفسى تقودنى النساء .

الجوقة : اذا لم يكن الهرم يربك عقولنا تماما ، فانه يبدو لنا
أيها الملك انك تفصح عن نفسك بحكمة بالغة .

هيمون : انت حكيم يا أبى .. لكن أى انسان آخر يستطيع
أيضا أن يكون حكيما .. جلست لأسمع ما يقوله
كل واحد عنك .. انك ترعب الشعب .. انه يجتر
الكلمات التى تمنعها من الخروج .. أنا سمعتها..
فأنا أطوف بكل مكان افاجىء المؤتمرين .. أعرف
كيف تحكم طيبة على حالة هذه الفتاة النبيلة
المجيدة التى تدينها .. ماذا ؟ تقتل لأنها دفنت
أخاها .. انها تستحق أن تكافأ .. هذا هو الرأى
العام .. أما أنا فحكمك هو الذى احترمه أكثر
لا تصر اذن على الاعتقاد يا أبى بأنك دائما على

حق •• فالذى يتصور أنه هو وحده الذى يملك البلاغة والحكمة والقوة••انما يعرض نفسه للسخرية فالذكاء يسمح بأن يناقض الانسان نفسه •• والربان الذى يمسك شراعه المتصلب بغضب شديد ينقلب بسرعة •• اخفض شراعك •• هدىء نفسك •• صدقنى أنا حديث السن لكنى أعلم انى ادافع عن قضية عادلة جدا •

الجوقة : أيها الملك •• اذا كان على حق •• فاستمع اليه •• واذا كان مخطئا فليستمع هو اليك •• القضية من ناحية وأخرى فى يد عادلة •

كريون : ماذا ؟ نتعلم الحكمة والعدالة من فتى صغير ؟

هيمون : مازلت غير عادل ؟ السن لا يحتسب •• لا تنظر الى سنى انظر الى أعمالى •

كريون : التصرف السليم اذن هو مدح المستبدين •

هيمون : أنا لا أعرف الثناء على الأشرار •

كريون : وهذه المرأة ليست شريرة ؟ أليست مريضة بالشر ؟

هيمون : ليس هذا رأى عامة الناس •

كريون : عظيم •• العامة سوف يرشدوننى الى طريقى •

هيمون : بدأت تتحدث حديث شاب .. انك تجيده .

كريون : هل يجب على أن أوجه هذه المدينة الى اتجاه غير اتجاه حياتى ؟

هيمون : لا توجد مدينة قد خلقت لرجل واحد .

كريون : المدينة زوجة شرعية لرئيسها .

هيمون : اسكن مدينة صحراوية اذا أردت أن تحكم بمفردك .

كريون : يبدو عليه انه يتخذ موقفا لصالح الفتاة .

هيمون : اذن ها أنت فتاة .. لانه انت الذى اهتم به أكثر .

كريون : أيها الوغد أتسب أباك ؟

هيمون : هذا لأنى أرى أن أبى ظالما .

كريون : تعتبر ظلما أن أتمسك بامتيازاتى .

هيمون : امتيازاتك .. انك تدوس ارادة الالهة .

كريون : قلب رخو .. قلب رخو .. انك تترك نفسك لامرأة توجهك .

هيمون : محتمل .. على كل حال التصرف الخاطىء لن يوجهنى أبدا .

كريون : انك لا تدافع الا من أجلها .

هيمون : ومن أجلك ومن أجلى ومن أجل الهة الجحيم .

كريون : أبدا لن تتزوجها حية .

هيمون : سأتزوجها اذن ميتة فى الجحيم .

كريون : تهددنى بالانتحار !

هيمون : لا أهدد بشيء .. انما أحاول مكافحة ظلمك .

كريون : سوف تندم .. يا سيدى العاقل .

هيمون : لو لم أكن ابنك لقلت انك تتراجع .

كريون : أسير نساء .. احذر .. لا تدير رأسى بلغطك .

هيمون : تتكلم طوال الوقت ولا تسمع أحدا .

كريون : آه .. هو كذلك .. أيها الجنود احضروا المجنونة احضروا المجنونة سريعا سريعا لتموت أمام خطيبها .

هيمون : انت مخطىء لن تموت فى حضرتى .. انها المرة الأخيرة التى أتحدث فيها اليك وداعا .. زاول غضبك أمام المتملقين الذين يتحملونه .

الجوقة : أيها الملك انه يذهب يجرى انه خارج عن طوقه .. فى سنه يخشى عليه من اليأس .

كريون : فليحاول المستحيل .. لن ينقذهما .

الجوقة : ماذا .. تدين أنتيجون واسمين ؟

كريون : لا .. حقا ليست تلك التى لم تلمس الجثة مطلقا .. ملاحظتكن سليمة .

الجوقة : وأى نوع من الموت احتفظت به للأخرى ؟

كريون : سأحبسها حية فى كهف فى الصحراء .. وسأترك لها قوتا يكفى للتفكير فى جرمها .. سيكون لديهـا الفرصة للتضرع الى بلوتان .. ولســوف نرى هل تدافع عنها الهة الجحيم .

الجوقة : أيها الحب .. يا من تستولى على أولئك وهؤلاء .. أيها الحب .. يا من تجعل الفقير غنيا والغنى فقيرا .. أيها الحب يا من تضــع فى النــار خــدى الفتــاة الصغيرة .. أيها الحب يا من تخترق البحر وتدخل الحظــائر .. لن يتجنبــك أحد .. لا بين الموتى ولا بين الناس فى الحياة القصيرة .. فينوس لا تقاوم عندما تطلق الرغبة .. نحن أنفسنا فى هذه اللحظــة خائنات لأميرنا نبكى لاننا نرى أنتيجون تتجه نحو قبرها (أنتيجون تظهر فى اليمين بين الحارسين .. تتوقف) .

أنتيجون : بني وطني انظروا الى اني أبدأ رحلتي الأخيرة وأرى للمرة الأخـيرة نور الشمس • اله الجحيم سـوف يأخذني حية دون أن أعرف الزواج ودون أن تردد أغنيات الزواج اسمي••الموت هو الذي سيتزوجني•

الجوقة : تسـوتين اذن دون أن تكوني مريضـة •• بدون جرح •• حرة •• عذراء •• حية ذائعة الصيت •• وحدك من بين الموتى ستدفنين عند بلوتان •

أنتيجون : لقد سمعت قصة موت ابنة تنتال التي وقعت فوق قمة جبل سبيل ، أحست فجـأة ان الصخرة تأخذها وتدفعهـا حولهـا كلبـلاب يابس •• وعندئذ كان الثلج يغطيها ودموعها الباردة تسيل من أعلى الى أسـفل •• ها هو فراشي ها هي المداعبـات التي تنتظرني (تسير) •

الجوقة : نعم •• حقا •• لكننا بشر مساكين وكانت هي ملكة وبنت اله •• على العموم ان هـذا أيتها الميتة العادية عزاء كبير لك أن تلقى مصير ربة (تتوقف) •

أنتيجون : تسخرن مني ، ذلك هو الوقت المناسب ، انصحكن بهذا ، لا ينتظرن حتى اختفى •• آه يا طيبـة •• آه يا بلدي يا ذات العربات الجميلة •• انظري كيف

أدفع وسط ضحكاتهن نحو حفرة بغير اسم •• بغير اسم •• لأنى لست ذاهبـة لا عند البشر ولا عند الأشباح ولا عند الاحياء ولا عند الأموات •

الجوقة : انه خطؤك •• لقد هتكت العـدالة •• وتتحملين أيضا بسبب أوديب •

أنتيجون : أنـا ابنة حرام •• هـذا هو السبب فى موتى •

الجوقة : تكريم الموتى خير •• لكن ليس من الخير أن نعصى سادتنا •• كبرياؤك هو الذى جعلك تهلكين •

أنتيجون : لا شىء •• لا شىء •• ولا أحد •• انى أسير الى العذاب وحدى •• بدون أن يرثى لى •• بدون زوج وبدون صديق وبدون تشجيع •• لن ألقى النهـار أبدا •• لا ولن ألقى أبدا عينه الذهبية •• أبدا لن ألقى الشمس (تسير) •

كريون : لقد قلتهـا الآن •• تعرفين أنه اذا كان لا بـد من حكايات ومواويل عديدة لكى نموت فلن ننتهى منها أبدا •• هيا •• لتحمل فورا •• لتحبس •• لتترك هنـاك •

(باندفاع أنتيجون يترك حارس اليمين رمحه يقع

أمامها •• تتناوله •• تبدو وكأنهـــا فى محكمـــة بين عضوى الجلسة) •

أنتيجون : وداعا •• ليسرقوا منى نصيبى فى الحياة •• سألقى أبى وأمى واتيوكل •• عندما متم أسبلت عيونكم •• أسبلت عينيك كذلك يا بولينتيس ــ و ــ كنت ــ على حق ــ لأنى ما كنت أفعل أبدا هــذا المجهود المميت من أجل أبناء أو زوج •• زوج يستطيع آخر أن يحل محله •• ابن يمكن التفكير فى واحد آخر•• لكن بما ان والدينا قد ماتا فانى لا أستطيع أن آمل فى أشــقاء جدد •• انه بمقتضى هــذا المبــدأ قد تصرفت •• لأقتل •• ليحرمنى كريون من الزواج ومن الأمومة••ماذا فعلت بى الالهة اذن ؟ انها تتخلى عنى اذا أقرت جلادى••سأعرف ذلك غدا وسأصر على فعلتى •• لكن اذا استهجنتهم لتبليهم عذابى (تسير)

الجوقة : ليس فى نفسها أية استكانة •

كريون : تستطيع فى هذا ان تكلف غاليا الذين قادوها والذين تواطئوا معها عمدا •

أنتيجون : لن يطول موتى •

كريون : لا تتصورى أن العــذاب لمجرد ارهابك (أنتيجون

تقاد بواسطة الحرس تهبط الى المستوى الأول. تجاه أسفل .. واحد من الحرس يدخل فى جب .. يتبعه الآخر .. يجـذبون أنتيجون برفق من معطفهـا .. تغور بدورها) .

أنتيجون : (يظهر نصف جسدها) يا طيبتى .. قضى الأمر .. انى اسحب .. أيها الرؤساء .. يا رؤساء طيبـة .. آخـر أميراتـكم .. شـاهدوا كيـف أتعـذب وشاهـدوا أى اناس يعاقبون قلبى .. (تختفى)

الجوقة : دانابيه أيضا دفنت حية ونامت فى البرونز .. ومع ذلك يا بنيتنا كانت من أصل عريق وكانت تحمـل بذور جوبيتر الذهبيـة .. لقد صعق باكوس ابن درياس .. هـذا الرجل يأسف كثيرا على انه دفع الكاهنات بقوة وأطفأ مشاعلهن وسخر من بنـات جوبيتر .. (تيرزياس يدخـل من اليمين يرشـده صبى) .

تيرزياس : يا ملوك طيبة ها نحن واحد فى اثنين .. اذ انى ضرير ولا أسير الا مع مرشد .

كريون : ماذا من جديد يا تيرزياس ؟

تيرزياس : ستعرف .. لكن أطع .

كريون : لقد صدقتك دائما .

تيرزياس : ولذلك كنت تحكم فى خط مستقيم .. اعلم انك تنحرف .

كريون : انك تخيفنى .

تيرزياس : هذا الصبى يرشدنى وأنا أرشد الآخرين .. لقد رأى هياكلنا مغطاة بفضلات جثة بولينيس تحملها الكلاب والنسور .. منذ رد الالهة ضحايانا والحيوانات المفعمة بالجيفة تعوى فى كل مكان .

صدقنى يابنى ، ان يخطىء انسان فلا غرو .. لكن أن يصر فهذا دليل على الحماقة .. لا تضرب أبدا ميتا .. ان حبى هو الذى يخاطبك .

كريون : عظيم .. ها أنذا هدف للرمى بالقوس .. تتحرشون جميعا بى .. حسن .. حسن .. أثروا أنفسكم اتجروا .. اربحوا ذهب الهند والسند .. لكن لن يدفن بولينيس أبدا .. لقد ذهبت النسور لنقل جثته فوق عرش جوبيتر الذى كنت أرفضه دائما .. ميت واحد لن يدنس الالهة .. يدفع لك يا تيرزياس انها علامة سقوطك .

تيرزياس : الى بانسان .. انسان يعلم .. انسان يفهم .

كريون : عصبة الكهنة شديدة الرغبة فى المـال . .

تيرزياس : وعصبة الملوك شديدة الرغبة فى الضرائب .

كريون : انت تعرف انى مليكك .

تيرزياس : أعرف هذا بقدر أكثر مما تدين لى بعرشك وبسلام طيبـة .

كريون : انك تحب المعارضة .

تيرزياس : انك تجبرنى على قول ما كنت أريد اخفاءه .

كريون : تكلم .. لكن لا تخدم الذى يدفع لك .

تيرزياس : أبدو اذن غاية فى الثراء ؟

كريون : وأعلم انى لن أغير رأيى .

تيرزياس : أعلم بدورك أن موت ابنك سيكون ثمنا لجريمـة دفن امرأة حية وانتزاع جثة لبلوتان .. سوف يستلىء قصرك بالشكوى .. الغضب يثير ضـدك البلاد ، حيث تنقل الحيوانات لحوما ملطخـة بالدماء .. ارشدنى أيها الصغير .. ليتعلم هـذا الرجل من الآن فصاعدا تكميم لسانه واحترام سننا (يخرج)

الجوقة : كريون •• أن نبوءاته لا تخطىء أبدا •

كريون : واسفاه •• رأسي يضطرب •• لنر •• لنر •• من القسوة أن نرضخ •• من ناحيــة أخرى شنيع هو جلب سوء الحظ بالاصرار •• ماذا ترين ؟

الجوقة : انقذ الفتــاة •

كريون : هذا وتردن أن أتنازل ؟

الجوقة : ولكن اسرع اذن ؟ إنتقام الالهة يعدو •

كريون : اذا كان لابد •• ان •• ذلك قاس •• قاس جدا •

الجوقة : اذهب •• اذهب •• اذهب لا تكلف أحدا بذلك •

كريون : انى أعدر •• فلتتبعونى بفئوس ومعاول ورافعات •• أخشى أن يكون من المستحيــل التمســك دائمــا بالقوانين القديمة (يخرج)

الجوقة : انت يا من تتوج بألف لقب •• يا باكوس •• يا ساكن طيبة •• عاصمة الكاهنات •• يا من تجعل النجوم ترقص والليــل يغنى •• اضغط بقدميك الكبيرتين جبلك كما يضغط العنب••اقبل •• اسرع ساعدنا•• اقفز هنا بخمرك المعتق •

(مشهد خال وموسيقى)

رســـول : يا مواطنى كدموس ، الحظ كم هو متقلب حقا ..
منذ زمن قريب كنت أحسد كريون .. والآن انكسر
حظه .. الثروة والحظ .. ما قيمتهما بدون سعادة ؟

الجوقة : تــكلم ..

الرسول : انتحر هيمون .

الجوقة : واه يا تيرزياس .. ها هى الملــكة أوريديس ..
سنستمع الى شيء .

أوريديس : (تظهر فى أعلى الدرج على اليمين ، تتكلم بعناء)
معنى هذا .. ان .. قد .. سمعت قليلا .. كنت
أوارب باب معبد منيرفا فكدت أقع على ظهرى ..
ماذا حدث ؟ يجب أن استمع .. أستطيع أن أسمعكم
هيا أنــا قوية .. عندى خبرة بالشقاء الى حد ما .

الرسول : واه يا سيدتى العزيزة .. اسمعى روايــة شــاهد
عيان .. بعد أن حرقنا مع الملك ما تبقى من بولينيس
وابتهلنــا الى ربــة الطرق .. جرينــا نحو كهف
أتتيجون ، عنــدما أعتقد كريون انه يســمع ابنــه
يصيح بداخله .. فتح بضربات معول ورآينا شيئا

محزنا •• أنتيجون معلقة فى حبل مصنوع من ثوبها وكان هيمون يضم الفتاة المسكينة بين ذراعيه •• وعند رؤية كريـون ، فقد هيمون عقـله •• جرد حسامه وبصق عليه •• رأى كريون عينـه الغضبى والنافرة •• فهم الوعيد فهرب •• اذ ذاك غرز هيمون الحسام فى جسده وغطت دماء قلبـه أنتيجون •• تزوجا هنا فى الممات وتدفقت الدماء •

(تتلقى أوريديس هذه الباقة الحمراء وتختفى)

الجوقة : لا كلمة تصدر من الملكة •• كيف يجب أن تفكر ؟
(وقت طويل)

الرسول : لا تريد الظهور (وقت طويل)

الجوقة : الصمت يخيف أكثر من الصيحات (وقت طويل)

الرسول : أجل سأذهب لاتبين الأمر (يدخل القصر)

الجوقة : الملك •• يحمل ابنه •

كريون : (يسحب الجثة فوق ظهره ويدحرجها على الأرض •• يجثو على ركبتيه يربت على شعره) ابنى •• ابنى •• هيمون •• آه •• ابنى •• أنا قاتل •• قتلتك •• قتلتك •

الجوقة : فات الوقت .

كريون : يمسك برقبتى اله .. اله يد فعنى فى ظهرى .. بيت السعادة ينهار كله فوقى .

الرسول : أجل أيها الأمير .. مأساة بعد أخرى ..

كريون : مأساة أخرى .. ماذا ؟ .. (يشير الى كل طول ابنه) ماذا يمكن أن يحدث أكثر من هذا ؟

الرسول : زوجتك ماتت .

كريون : ماتت زوجتى ؟ هذا غير صحيح ؟ .. آه يا بلوتان تأكل الجميع .. زوجتى بعد ابنى .. انت تكذب أين هى ؟

الرسول : انظر الى الباب المفتوح (كريون يصعد درج اليمين وينظر) .

كريون : أوريديس .

الرسول : انتحرت عند أقدام الهيكل ، وهى تتهمك بالقتل .

كريون : انى خائف .. اقتلونى .. اقتلونى بسرعة .. أسقط فى حفرة بلا قرار .

الرسول : تتهمك بقتل هيمون وأنتيجون ٠

كريون : (بصــوت أحمق) ــ ماذا اذن ؟ تقول ٠٠ قتلت نفسها ؟ زوجتى قتلت نفسها ؟

الرسول : اكرر لك القول ٠

كريون : النجدة ٠٠ اذهبوا بى ٠٠ ابعدونى ٠٠ أنـــا أقل من لا شىء ٠٠ أقل من لا شىء لا أعرف مطلقا أين أضع نظراتى ٠٠ يداى ٠٠ قدماى ٠٠ كل شىء يضيع ٠٠ كل شىء ينزلق من تحتى ٠٠ الصاعقة تسقط فوق رأسى ٠

الجوقة : يجب أن نخشى لعنة الالهة ٠٠ متأخرا جدا يا كريون متأخرا جدا ٠

❋❋❋

سالاكرو ..
واتجاهه الممنوع !

فى مدينة روون ولد « أرمان سالاكرو » ، وكان يوم مولده هو التاسع من أغسطس قام ١٨٩٩ ، أى قبل أن يبدأ القرن العشرون بعام واحد ، ولهذا ينتمى « سالاكرو » تاريخيا الى القرنين التاسع عشر والعشرين ..

كان والده صيدليا ، وأراد هو أن يصبح طبيبا ، ولكنه اتجه الى الأدب والى المسرح بصفة خاصة ، فكتب مسرحيات قصيرة لم يستكملها الا فيما بعد .. أما أولى مسرحياته الطويلة والمنشورة فتحمل عنوان « محطم الأطباق » وقد كان يعنى فى حقيقة الأمر نفسه كمحطم للقيود الفنيــة والدراميــة البالية . مشتركا فى هذا مع المجددين من أمثال كامو وسارتر ، سابقا فى ذلك بيكيت ويونسكو .

ولكن سالاكرو ككل كتاب العبث من ناحية وكتاب اللامعقول من ناحية أخرى لم يخرج بمسرحه عن الثالوث الخالد فى المعنى والمبنى .. الحياة ، الحب ، الموت .

ولذلك لم يستكمل دراسته للطب مخالفا بذلك رغبته الأولى ورغبة والده الأخيرة ولكنه درس الفلسفة وعلم النفس والأدب ، وعمل بالصحافة الأدبية قبل أن يتفرغ تماما للمسرح .

عرضت أولى مسرحياته « البرج المائل » عام ١٩٢٥ فهوجم هجوما شديدا مما اضطره الى الاقتراب أكثر من المسرح والعمل مخرجا مساعدا مع « شارل دولان » فى مسرحيات لا يكتبها هو ، حتى كتب « جسر زوروبا » و « باتشولى » اللتان أخرجهما مع مكتشفه دولان ، وأصبح متمكنا من حرفية المسرح الى جانب أدب المسرح .

وجاءت مسرحية « فندق أطلس » لتبدأ معه مشوار النجاح والانطلاق والشهرة وهكذا تكالب المخرجون على اخراج مسرحياته فأخرج « مشيل سان دونيس » مسرحية « الحياة الوردية » وأخرج « لدى جوفيه » مسرحية « المجانين » ، وأخرج « باستون جاتى » مسرحية على مسرح الكوميدى فى انسيز عام ١٩٤٩ ، فدخل « سالاكرو »

التاريخ جنبا الى جنب « راسين » و « كورنى » و « موليير » أو الكلاسيكيين الكبار .

وتوالت المسرحيات : « امرأة حرة » و « رجل كالآخرين » و « قصة الضحك » و « عرائس الهافر » و « الجندى والساحرة » ثم « ليالى الغضب » وهى أشهر مسرحياته على الاطلاق .

أما مسرحياته التالية فقد جنحت بفنه الى الاغراق فى اللامعقول والاستغراق فى الغموض مثل : « لماذا آنا لا » و « يوق » و « كان الله بالسر عليما » و « ضيوف الله » و « المرأة » و « امرأة شريفة جدا » و « طريق دوران » و « الأسوار الشائكة » وهذه المسرحية « اتجاه ممنوع » .

واتجاه ممنوع كتبها سالاكرو عام ١٩٥٣ بعد فيلمه الوحيدة مباشرة « جمال الشيطان » الذى أخرجه المخرج السيمائى المعروف والشهير « رينيه كلير » .. وبعد انتخابه رئيسا للهيئة العالمية للمسرح ورئيسا شرفيا لجمعية المؤلفين والملحنين .

أما مسرحية « اتجاه ممنوع » فهى مسرحية تكاد تفوق اللامعقول الى السيريالية فهى تتعرض لفكرة غريبة تفترض أن الانسان قد ولد عجوزا طاعنا فى السن ثم يصغر حتى يصبح

طفلا ، أى عكس ما يحدث فى الطبيعة منذ الخليقة وحتى الآن وهو يضع كنوع من الاختبار ، امرآة مسنة فى مواجهة شاب يافع ليجرى عليها التجربة التى تنتهى وهـذا طبيعى بالفشل ، لا لأنهما من عالمين مختلفين فقط ولكن لأنهما من جيلين مختلفين أيضا ، ففـارق السن رهيب والعواطف والأحاسيس مختلفـة والأفكار متعارضة وكذلك الأقدار •

أما تجربة رجل وأمرأة عن عالمين مختلفين ولكن من جيل واحد فتصيب من النجـاح أكثر مما تصيب من الفشل ، على عكس التجربة الأولى •

وتكتشف فى النهاية أن هذا الافتراض لا يصح لأنه يسير فى « اتجـاه ممنوع » •• أما الحيـاة ، الحب ، الموت ، فهى العناصر الثلاثة المشتركة والمشاركة فى هـذه المسرحية الغامضة وان كانت تشكل اتجاها جديدا فى عالم مسرحنا المعاصر الذى ينبغى أن ننفتح عليه ونفهمه ، ولا يهم بعد ذلك ان كنا نعتنقه ونتبناه أم نعبره ونتركه للأجيال القادمة تقول فيه كلمتها التى قد تتفق معنا والتى قد تختلف ، وتلك هى طبيعة الفنون والأدب، والمسرح بصفة خاصة !

اتجــاه ممنــوع

سيكودراما

ارمان سالاكرو

مهداة الى ((سيمون دي بوفوار))

الشخصيات :

١ ـ ماتيلدا العجوز (٩٠ سنة)

٢ ـ دانيـــال (٥٥ سنة) .

٣ ـ ايفلين زوجته (٥٠ سنة) .

٤ ـ أوديـل (٢٨ سنة) .

٥ ـ راؤول زوجها (٣٥ سنة) .

٦ ـ بول ـ حبيبها (٣٠ سنة) .

٧ ـ آديــه (١٨ سنة) .

٨ ـ جيرار ـ خطيبها (٢٢ سنة) .

٩ ـ السيد العجوز (٨٥ سنة) .

١٠ـ جوزيف ـ رجل العالم الآخر (٣٥ سنة) .

● اتجاه ممنوع

● ســـــالاكرو

قاعدة على هيئة شقة لها سلالم متوسطة الارتفاع .. أبواب كثيرة ، أحد هذه الأبواب يفتح على ممر خال تماما .. اضاءة متواترة على مناطق ــ وأضواء ساطعة . تكعيبة عنب كبيرة تصــل الى السطح .. سماء صافية .. ليل مقمــر .

ماتيلدا العجوز : (٩٠ سنة ، محنية ، ترتكز على عكازين) أخبار اليوم صحيحة ؟

دانيـــــال : (٥٥ سنة ، يلعب بالورق مع زوجتــه ايفلين ٥٠ سنة) على حسب الاعراض يعتقد الدكتور أن الولادة ستتم خلال الساعات المقبلة .

ماتيلدا العجوز : نفس الدكتور قال أمس وفى نفس الساعة ، نفس العبارة ، فاذا أخطــأ أيضا ..

دانيـــــال : اذن لن تتم الولادة غدا ؟

ايفلـــــين : (لزوجها) العب ؟

دانيـــال : شيء يضايق ، لأنى سأكسب ، وأنت لا تحبين أن تخسرى ؟

ايفلـــــين : العب ، من الصباح وحتى المســاء ، وأنت تثرثر ؟ ثرثرة ؟

الرغبـة تدفعنى ولو للحظـــات الى تغيير اهتماماتك . ألعب ؟

(أوديل ، سيدة شابة فى الثامنــة والعشرين وفاتنة ، ما أن تلمح ماتيلدا العجوز وهى تشم باب الرواق حتى تنفجر فى الضحك)

ماتيلدا العجوز : تضحكين ؟ تضحكين ؟ لكننى ضقت بالحيــاة وحيدة ، هل تسمعين ؟ الوقت يطول واليوم لا ينتهى .

أوديــــل : الصبر يا ماتيلدا الطيبــة .. سيجىء الوقت الذى يجعلك تركعين أمام الأيــام القصــيرة للغايــة .

ماتيلدا العجوز : صحيح ، لا شيء يدعــوك للعجــلة ، أنت تنفتحين على الحياة ؟ مع رجليك ؟

راؤول : (٣٥ سنة ، زوج أوديل) مع رجليك ؟ بماذا تلمحين ؟

ماتيلدا العجوز : لا ألمح بشيء ! أى رجلين ! أنت زوجها وهو صديقها ؟

بـــول : (٣٠ سنة ، صديق آوديل) هذه التلميحات على وضعنا ليست أخلاقية ، أنت انسانة مقززة ، وعجزك ليس عذرا كافيا .

دانيـــال : (مهدئا) ستتخلص من هذا ؟

بـــول : لا .. طبيعتها شريرة . وشرهـا يتفـاقم مع السـنين .

ايفلـــين : فى حالتها ، عليك آن تميز بين الشر والملل .

أوديـــل : الملل ؟ الملل ؟ لكى نتألم هناك ما هو أقسى من الملل ، صدقينى .

ايفلـــين : وما هـو ؟

أوديـــل : الرغبة ، الرغبة الحارة فى السعادة .

ماتيلدا العجوز : وفى سـنك لكى تكونى سـعيدة لابد وأن تشجبى رجلا فى كل ذراع ؟

رافـــول : غير معقول .

بـــول : على أية حال ، عليها أن تسكت ؟

(موسيقى هادئة)

آديـــــه : (فتاة فى الثامنة عشرة) حبى ؟
جـــــيرار : (٣٣ سنة ، زوجها) ملاكى ؟
آديـــــه : جـيرار ؟
جـــــيرار : آديه ؟ طهـارتى .
أوديـــــل : أوه ! اليمامة وزوجها ، هيا على السطح .
جـــــيرار : فكرة ساحرة ، يا حبى ؟
آديـــــة : بالقرب من السماء ، فى ضوء النجوم ، جيرار !
جـــــيرار : أنت ، أرحب من العالم ، فريدة فى رؤيتـك للحيـاة .

(يخرجان متشابكين . تختفى الموسيقى أيضا)

أوديـــــل : فريـد أنت أيضـا يا راؤول ، أنت حبى الوحيـد . لكنى (لبول) لا أسـتطيع أن أستغنى عنك ، للأسف ، حتى وصورة زوجى فى رأسى وفى قلبى .
بـــول : (لراؤول) يضايقك وجودى ؟ اذا كنت تريد أن تهدأ فاعلم انى أغار منك . فأوديل للأسف، تعرف حقيقتنا : أوديل لا تحبنى .
أوديـــــل : (بعتاب رقيق) بول ؟
بـــول : أوديل تحتاج الى فى الحقيقة ، ولكنها تحبك

أنت وستظل تحبك حتى آخر سـنوات عمرها الناضجة • ذات يوم ستهدلا مثل اليمـام •
ولن أكون هنا سأكون قد انتهيت •

دانيـــال : (لبول) أصبر أنت أيضا ، وستحل عقدك •

أوديـــل : راؤول ، أؤكد لك انى بريئة ، لأنى فى صراع
أصارع بكل اندفاعِ المياه التى تسقط فتصطدم
بصخور الجبل كل لحظة •

ايفلـــين : تزعجينا بحكايات هذا الثلاثى منذ ثلاثين عاما •
الشقة صغيرة ، فهل هذا سبب لازدحامها أكثر؟

أوديـــل : راؤول ، أخجل من جسـدى ، لكن روحى
كلها لك •

ايفلـــين : جسدك ، روحك ؟ جسدك ، روحك ؟ اذهبى
اذيعى وناقشى همومكم فى حجرة النوم •

أوديـــل : (بول) اتبعنى •• جسدى يريدك ، أنت تعلم •

بـــول : حقا ، جسدك فقط ؟

أوديـــل : (لبول) لكن روحى تتكلم أيضا مع جسدى •
أنـا أيضا جسدى •

راؤول : جسدك ؟ هذا الصندوق العفن الذى تفضليه على روحك .

أوديـــل : (لراؤول) آنـا لا أفضـله . سـل الليل والنهـار ، وكل الساعات التى تحـاصرنا . لا يمكننا أن نهرب منها .

راؤول : وهذه الفكرة لا تجعلك تنزعجين من الذكريات التى تصنعك اليوم وسوف تجعلك فى المستقبل ترتعدين من الخجل ؟

أوديـــل : فى سن معينة تصاب النساء بالبلاهـة ، وقد وصلت الى هذه السن .

بـــول : يا للقسـوة .

أوديـــل : لا تتعذب يا راؤول . لو تعلم شوقى الى هذه الساعات التى أجد فيها نفسى أخيرا سعيدة الى جوارك ، وحدى تماما معك .

ماتيلدا العجوز : تنسين وصول المولود الجديد . أنـا أيضـا يحرقنى الشوق والفضول ؟ تنسين انى أنتظر ذلك الذى سيجىء ليؤنس وحدتى على الأرض؟

راؤول : (يرى أوديل وهى تختفى مع بول فى الحجرة) أوديل ؟

أوديـــل : عزيزى راؤول ! (تغلق الباب) .

راؤول : لا تكذب انها شريفـة . تصـارع . وأنـا أتعـذب !

ايفلـــين : أوه ! دعنا نلعب .

راؤول : (لدانيال) سـوف تفهم بعد عشرين سنة ، عندما تقول لك هـذه السيدة (يشـير الى ايفلين) « أعبدك ، لكن تحمل ، حـاول أن تتحمل ازدواجية روحى ورغبات جسـدى » نعم ، سوف تفهم وقتها .

ايفلـــين : حتى ذلك الوقت لا يمـكنك أن تتعـذب فى صمت ؟

دانيـــال : ولمـا لا تفـكر فى شىء آخر يا عزيزى ؟ فى نموذج آخر مريح مثلا ؟

ايفلـــين : وتجىء الأيام السعيدة .

راؤول : ربما .. لكن كم هى بطيئة الحياة ! وهـذا المساء ، لى الرحمة ، لى الرحمة (يخرج من باب آخر) .

دانيـــــال : ومنذ الآن سوف ترون فى مستقبلنا هذا النوع من الاضطراب !

ايفلـــين : لا تكن غبيا ، العب !

دانيـــــال : المـلك !

ايفلـــين : وماذا ؟ اجمع حصيلتك ، طالمـا انك كسبت كن لاعبا ماهرا ، ولو لمرة واحـدة . ثم لا تعدو كارها لهذا النصر الذى يهرب منى .

دانيـــــال : ايفلين ، عرفنا معا رزائـل الشيخوخة ، وفى هذه اللحظة تقتسم ملل الحب الصامت .

ايفلـــين : كيف تتصـور أنى أجن يوما بحبـك ؟ وأن تكون نبع تلك العواطف السحرية التى تثير مشاعر الشباب ؟ فى هذه اللحظة أمام رأسـك الرخو غير المعقول . أوه ؟ كم تثـير غضبى (تقلب المـائدة وتخرج)

ماتيلدا العجوز : من المفيد أن نشاهد طريقـة حياتكما ، شىء لا يشجع ؟

دانيـــــال : لأنك لا تبصر الا صباح اليوم نفسه ، لكنـا أكثر سعادة من أى وقت مضى .

ماتيلدا العجوز : لننتظر وأسوف أرى جيدا ! لكن الانتظـار سيجعلنى أمشى أحسن ، أليس هذا هو رأيك ؟ قل ، دون كذب ، المولود الجديـد سيصـل اليوم حقا ؟ !

دانيـــال : اذا حدثت ولادة ، سيفتح الباب من تلقـاء نفســه .

ماتيلدا العجوز : لكن اذا كانت ولادة عسرة ؟

دانيـــال : سيفتح الباب من تلقاء نفسه كذلك ؟

ماتيلدا العجوز : ساعده ، أرجوك ، فى الفتح .

دانيـــال : (يذهب ليفتح الباب الذى لا يلبث أن يغلق ببطء) أترين ؟ ربمـا لا يـكون المولـود الجديد لك .

ماتيلدا العجوز : بما انى العازبة الوحيدة .

دانيـــال : المولود قد يجىء فى سن الشيخوخة .

ماتيلدا العجوز : (مهمومة) أوه !

دانيـــال : أنا نفسى ، منذ اليوم الأول ، كانت كل أسنانى فى فمى ، وكنت أمشى بدون عصى .

ماتيلدا العجوز : آه !

دانيـــــال : وفجـأة ، أصبت بقرحة ، ولـكنهـا التأمت ، ولم يعد عرق النسـا يؤلمنى الا فى الأيـام الممطرة .

ماتيلدا العجوز : وهل يمـكن أن يجىء المولود الجديد اليوم ؟

دانيـــــال : لكم أسفت على أنى لم أحيا سنوات عمرى بعد أن سرحت من الجيش غير نادم عليه ! لـكنى رأيت الأكثر منى شبابا يعزلون ــ أحدهم كان فى عنفوانه ، كان يبلغ من العمر عشرين ربيعا .

ماتيلدا العجوز : لكن ماذا أفعل أنـا بصبى قريب من الموت ؟ لننتظر حتى النهاية ؟ ربما جاء المولود الجديد بعكازين هو الآخر .

دانيـــــال : ماتيلدا الطيبـة ، لا تتحركى كثيرا . عالجى قدميـك !

ماتيلدا العجوز : بعد كم من الوقت تعتقـد أنى سأمشى بدون عصى ؟

دانيـــــال : الطبائع تختلف كثيرا !

ماتيلدا العجوز : تعتقـد ؟

دانيـــــال : نعـم ؟

ماتيلدا العجوز : (أمام مرآة) وعندما تمحى تجاعيـــد وجهى تعتقد أنى سأصبح جميلة ؟

دانيـــــال : نعـــم !

ماتيلدا العجوز : جميلة جدا ؟

دانيـــــال : عيناك جميلتان •

ماتيلدا العجوز : عينان جميلتان فقط ؟

دانيـــــال : يضيرك أن تكونى طيبة ؟

ماتيلدا العجوز : أستطيع أن أكون طيبـــة اذا أردت •• أما الجمال •

دانيـــــال : تنقصك الخبرة ، يا صديقتى الطيبة •• معظم الناس لا يمكنهم أن يكونوا طيبين • بل لا يرغبون حتى فى ذلك •

ماتيلدا العجوز : اذا لم يرغبوا فهم لا يتألمون • أما القبح فأى امرأة يمكنها أن تتقبله ؟

دانيـــــال : تلك التى تصبح طيبة •

ماتيلدا العجوز : هذا الانتظار يحطمنى • سأهدل الى جوار اليمامتين •• أين هما ؟

دانيـــــال : يودعان فترة الخطوبة •

ماتيلدا العجوز : هل ستنفصلان ؟

دانيـــــال : بعذوبة شديدة • سوف ترين ، بهدوء بالغ •

ماتيلدا العجوز : لكن نادنى بمجرد أن يفتح باب المولود الجديد•

دانيـــــال : طبعا يا ماتيلدا الطيبة • اعتمدى على (تخرج ينظر فى مرآة يلعب بعينيه ، يداعب شعره وهو فوق جبهته فلم تزداد صلعته بعد) لا لمن أصبغ شعرى •• أفضـــل الانتظار حتى يصبح غزيرا (يفتح الباب • ثم صمت مفاجىء وســكون على نفس الموسيقى من جديد)

الهى ، يا الهى ، ها أنت تطلق على الأرض حرية مولود جديد أتوسل اليك لا تدعوه للحياة ، أنت الذى تعلم الغيب ، اذا كنت تعلم انك ستدفعه فور خروجه الى نار الجحيم الأبدية • وبما انك الاله الطيب القـادر ، انزعـه من الوجود • لا تدعه يدخل وأغلق البـاب على الفور • ودون أن أعرفه ، أعـلم ما يريده واستطيع أن أقوله على لسانه : انه يفضـل العـدم على الوجـود فى جحيم يصعب عليه الهروب منه فى نهايـة حياتـه ، فليدخـل ،

سأتقبله كأخ (صـــمت • يظهر جوزيف على استيحاء وهو فى الخامســة والثلاثين) ألقى الزهر • نعم يا عزيزى من هنـــا • اخرج من الباب • تقدم •

جـــــوزيف : هنا ؟ تعتقد ؟

دانيـــــــال : متأكد • كنا ننتظرك

جـــــوزيف : أتنقل من ممر الى ممر منذ ساعات • سقط الليل وأحسست فى جنح الظلام انى مفقود •

دانيـــــــال : مفقود ؟ بالتأكيد ؟ لم تكن ترغب فى أن تعزل فى الأرض ، ومنذ اليوم الأول تجد نفسك مع تنسم حمامة راحلة تخرج من قفصها •

جـــــوزيف : اعزل فى الأرض ؟

دانيـــــــال : نعم • ستعتاد ذلك يا عزيزى الطبيب • قبل كل شيء تعلم كيف تستنشق بعنف • كيف عدوك وأنت تدخل ؟ نعم ، اسم العائلة واسمك ؟

جـــــوزيف : جوزيف •

دانيـــــال : جوزيف ؟ ستعتاد ذلك أيضا . لا آحد يختار اسمه كما لا يختار قدره . اسمى دانيال .

جـــوزيف : يمكننى ان اسألك ...

دانيـــــال : لا .. استرح .. ها هو المقعد .. اجلس . كيف يمكنـك آن تختـار أسـئلتك ؟ على أنـا اسـألك ، واجاباتـك ، الواحـدة تلو الأخرى ، ستفسر لك ما ينبغى عليك أن تعرفه. أولا كن صبورا . ومع السـنوات التى تمـر ستتعلم كيف تحيا . كيف تحيا بغير سأم فى المعجزة الكبرى .. ما عليك الا أن تفكر بغير توقف فى شىء آخر تماما . وفى سنك هـذه سيكون الأمر سهلا .

جـــوزيف : عمرى خمس وثلاثون عاما .

دانيـــــال : يا متيلدا المسكينة ! لكن لا تأسف على شىء . بالنسبة لك ، فان ما يمكن أن يحدث قد حدث فسن الخمسة نفسها ليست سنا هرمة . ولكن يمكن صنعها . زوجتى بلغت الخمسـين . شىء يضايق . فى هذه السن النسـاء تصبحن

شرســات • لكنى أتكلم •• أتكلم ولا يمكنك أن تتفهمنى •

جــوزيف : اعترف أنى •

دانيـــال : أنــا ، أمارس مهنتى منذ عشرين عاما •

جــوزيف : أى مهنــة ؟

دانيـــال : مهنتك الآن : الرجل الممتلىء بالحياة •

جــوزيف : آوه !

دانيـــال : (يبرز عضلاته) لكنى سأدخل قريبا فى المرحلة الساحرة ، مرحلة الأربعينات المنتصرة •

جــوزيف : مرحلة الأربعينات المنتصرة •

دانيـــال : تلك التى توصل الى سنك •

جــوزيف : تلك التى توصل الى سنى ؟

دانيـــال : لا تختل • لازلت أذكر يومى الأول ، عندما دعانى الاله الطيب لقضاء عدة سنوات على هذا الكوكب الساحر • لم أكن أدرك شـيئا بعد • ولكن المرء يستقر • يكتسب عادات • يلتقى بأصدقاء • ويخبىء ملله فى الرزائل • ومع

العادات والأصدقاء والرزائل لا تصبح الحياة كريهة . اذا سمحت لى بأن أقدم لك نصيحة : فانى أوصيك بالرزائل فهى أكثر وفاء من الأصدقاء اننا نحتفظ بها وقتا طويلا .

جوزيف : أوه تعرف أنى ، أقصد نوعى ، ليس هو النوع المفكر .

دانيال : انتظر حتى تكشف لك الحياة .

جوزيف : أوه لكنى أعرف نفسى . انى أتتمى أكثر وللأسف الى ذلك النوع المحب ، العاطفى جدا .

دانيال : أرجوك تخفى ذلك عن ماتيلدا . والا ستزيد من صدمتها لأنها ستصاب بالاحباط . يا ماتيلدا المسكينة .

جوزيف : ماتيلدا ، ماتيلدا من ؟

دانيال : تلك التى كانت تنتظر وصولك بفارغ الصبر . نعم لكى تتزوج منك .

جوزيف : تتزوج منى ؟ بسرعة ، دون أن تعرفنى ؟

دانيال : لا يسبق أى زواج أى تعارف ولكن بالممارسة يتم التعارف .

جـــوزيف : صحيح هذا ؟ **هل هذا صحيح ؟**

دانيـــــال : ولدت منذ ستة شهور .

جـــوزيف : ستة شهور وتريد أن تتزوج منى ؟

دانيـــــال : أنت لا تعرف النســاء ، يتخيلن أشــياء ثم للأسف يرغبن فيها .

جـــوزيف : حتى ولو كان فى ستة شهور ! أقل ما يمكن أن أقوله ، يمكنها أن تنتظر .

دانيـــــال : لقد ضاق بها الحال بالفعل . أوه ! الملل يجيء بسرعة ، سوف ترى . انها تصرخ .

جـــوزيف : تصرخ ؟ يا للمسكينة الصغيرة . أسنانها تنبت .

دانيـــــال : كلا ، أســنانها تنبت بدون ألم . وســوف تصبح جميلة .

جـــوزيف : ليست لديك النية على أية حال فى أن تخطب لى فتاة لازالت تفعلها فى الفراش ؟

دانيـــــال : ما يحيرنى هو أنها لازالت هنا . بعد ســتة شهور ، أصبحت مهيأة لم تعد تريل .

جـــوزيف : عظيم .. انها فى تقدم ؟

دانيـــــال : هـذا المســاء كنت أنظر اليها ، كانت تقرقر بطقم أسنانها كالأرنب •

جـــوزيف : وتمشى الآن ؟ انها ظاهرة ماتيلدا هذه ؟

دانيـــــال : نعم ، مخلوقة نادرة • طريقتها فى الحـديث أصبحت عظيمة •

جـــوزيف : وتتـكلم ؟

دانيـــــال : وأكلها يهضم بسرعة وجيدا ؟

جـــوزيف : وتأكل أيضا فى هذه السن • لم أر هذا أبدا •

دانيـــــال : لم تر شيئا بعد • سوف ترى • أنا شخصـيا لا أشكو • شعرى ينبت ، أنظر ، لا ينقصنى سـوى ضرسين فى الجـانب الأيسر • التهاب مفاصل أصابعى المزمن ليس الا ذكرى قديمة والبروستاتا لم تعد تؤلمنى ، لن تصادف حظا مثل حظـك فأنت معفى من هـذه المـآسى الصغيرة • أما أنـا ، تبا للأيام السعيدة ، كنت سأصبح رياضـيا فـذا • لكن ذكـرى زوجتى السنوية زادت حدتها •• وان كانت تزداد ببطء •••

هل أنت مفاجأ ؟ الحياة نفسها مفاجأة ، وفى

الوقت الذى تمنحك فيه كل شىء ، تصـــدمك بما هو تافه .

جـــوزيف : الاستماع اليك يعد صدمة مروعة حقا .

دانيـــــال : يؤلمنى أن أخيفك ، فى مثل سنك تكون الحياة جميـــلة .

جـــوزيف : ليس هــذا رأيى . مطلقا . الحيـــاة كابوس حقيقى . حياتى على الأقل .

دانيـــــال : لا تطـــاوع نفســك فى الاعتقـــاد بما لا قيمــة له فى نظرك .. فالخالق بطبيعته المطلقة هيـــأ لنا رفيق سفر ســاحر حتى يعيننا على تخطى لحظات اليأس . أريد أن أكون أول من يطلعك على هــذا ويؤكده لك . هذا الرقيق يسمى النبيذ ويوجـــد نـــوع أبيض وآخر أحمر . لا تشرب منه كثيرا فى اليوم الأول .

جـــوزيف : تعتقد أنى كنت أنتظرك حتى أجرع زجاجتى الأولى ؟

دانيـــــال : (الزجاجـــة والكأس بين يديه) شربت نبيذا بالفعل ؟

جـــوزيف : نعم ، منذ سنوات .

دانيـــــال : كيف ؟ ألم تعزل فى كوكبنا الآن فقط ؟

جـــوزيف : دع الدعابـة جانبـا ، فهل التقيت بكثير من المواليد فى مثل سنى ؟

دانيـــــال : أعرف منهم الأكثر شبابا .

جـــوزيف : وأنـا أيضـا .

دانيـــــال : اذن على أى نحو جئت ؟

جـــوزيف : صغيرا جدا . أوه . صغيرا جدا .

دانيـــــال : بأسـنان ؟

جـــوزيف : كـلا ..

دانيـــــال : بشـعر ؟

جـــوزيف : كـلا ..

دانيـــــال : كنت تمشى ؟

جـــوزيف : كـلا ..

دانيـــــال : كنت تتكلم ؟

جـــوزيف : كـلا ..

دانيـــــال : صديقى المسكين !

جـــوزيف : كنت أريك •• وأنـا أيضـا كنت أفعلهـا فى الفـراش •

دانيـــال : كنت فاقد الادراك تماما ؟ بلحية بيضاء كبيرة •

جـــوزيف : كلا ، لكن قل لى ألم تصب بغرغرينة فى المخ ؟

دانيـــال : كلا يا صديقى •• ومهما وصل أثر الشراب فان عقلى يعمل بانتظام • أرجوك وبالتحديد أن تقول لى فى أى سن ولدت •

جـــوزيف : فى سن أحد الأيام ، اليوم الأول •

دانيـــال : مثلى بالتأكيـد ، مثل كل البشر • فى اليوم الأول لحياة الانسـان يبلغ من العمر يومـا واحدا • ولكن منذ كم من الوقت •

جـــوزيف : منذ خمس وثلاثين أو قل ست وثلاثين عاما •

دانيـــال : وماذا فعلت منذ خمس وثلاثين عاما ؟ أين كنت تنـام ؟ ولمـاذا ؟ كنت مصـابا بمرض خبيث أردت أن تجعله سرا ؟

جـــوزيف : أنـا ؟ كـلا •

دانيـــال : مرض جسمانى معيب أصلا ؟

جوزيف : كنت دائما صبيا كامل التكوين .

دانيال : صبيا ؟ لا تضطرب ، وأجب بهدوء . أنا رجل متفاهم .. بعد اليوم الأول . ماذا أصبحت ؟

جوزيف : حسن . استمر الحال ، كنت صبيا ، ثم شابا ، ثم جنديا محاربا . تزوجت فى سن الثانية والعشرين ، ثم هجرتنى زوجتى منذ سبع سنوات ، ورحلت فى سن الثلاثين . فى سن الخامسة والثلاثين لم أستطع نسيان حبى وها أنذا ..

دانيال : (ساخرا) كنت صبيا ثم شابا ..

جوزيف : لعبت كرة القدم ، سنتر هاف ..

دانيال : سنتر هاف .. نعم ، نعم .. ثم جنديا .. شابا بالتأكيد .

جوزيف : نعم ..

دانيال : شىء مثير . واللحية نبتت فى ذقنك .

جوزيف : كلا ، كنت أضع الشنب .

دانيال : الشنب ؟ أوه .. عظيم . أرى نوعه ..

جــــوزيف : أى نــوع ؟

دانيـــــال : السيد يروى النكات ؟ السيد يخترع القصص؟

جــــوزيف : أنــا ؟ (تدخل ايفلين)

ايفلــــين : يا لماتيلدا المسكينة .. انه شاب .

دانيـــــال : لا تسعدى بمثل هــذه السرعة بخيبة أمــل المســكينة ماتيلدا ، الموضــوع أكثر من ذلك (لجوزيف) مهرجة ، ترفض ، ترفض منــذ اليوم أن تأخذ الحيــاة مأخذ الجد وتختفى وراء روايــة .

جــــوزيف : لكن أى روايــة ؟

دانيـــــال : الســيد يدعى أنه وجد على الأرض منــذ خمسة وثلاثين عاما .

ايفلــــين : وماذا فعلت منذ خمسة وثلاثين عاما .

جــــوزيف : أنــا ؟ هيه . عشت .

ايفلــــين : (لدانيال) أى غرابة فى ذلك يا عزيزى .

دانيـــــال : يدعى أنه عاش النصف الآخر من حياته .

ايفلين : أى نصف آخر ؟

دانيال : يريد أن يجعلنا نعتقد أنه بدأ من النهاية .

جوزيف : لم أقل أبدا أنى بدأت من النهاية ! أنت نفسك ...

دانيال : لا تضع كلامى فى موضع الشك . أنا أعرف حسناتى وأعرف عيوبى .. وراء هذا المظهر المتردد والهادىء نسبيا فأنا غضوب لا يجهل نفسه مطلقا .

ايفلين : (لجوزيف) ما يخيفنى مستقبلا ، هو أننا عندما تزوجنا منذ خمسة عشر عاما كان فاترا وكان غضبه لا يظهر الا من خلال أحاديثه التى توقظه من حين الى آخر . لكن بعد عشرين عاما عندما تظهر له عضلات ملاكم فتى .. (لدانيال) لن أتخل مطلقا عن ضربه على الخد أو على الجسم .

جوزيف : بالله عليك ، هل سمح لك بالكلام ؟

ايفلين : من الطبيعى انك شربت نبيذا بالفعل ؟

دانيال : معى ، كانت زجاجته الأولى . على الأقل أعتقدت أنه ..

جـــوزيف : (منفجرا) هذه المرأة كنت ستلتقى بها اذن لأول مرة صلعاء ذات أســنان صفراء ، وكنتمــا سترتميان أحدكما فى أحضان الآخر ، وعيونكما مغلقة لكى تسقطا يوما تحت قدمى فتاة مليئــة بالحياة ولونها وردى ؟ وتريدنى أن أصدق قصة من هذا النوع ؟

(تدخل ماتيلدا العجوز)

دانيــــال : وانت كنت تريدنى أن أعتقد أنى كنت سأكون فيها الى حد أن ألقى بنفسى فى أحضــان فتاة مليئة بالحياة على أمل أن أجدها يوما ملقاة فى مواجهتى ، فى مثل هذه الحالة ؟

جـــوزيف : لست أنــا الذى اخترع الموضة .

ماتيلدا العجوز : عن أى حالة تتحدثون ؟

ايفلــــين : عن حالتك .

ماتيلدا العجوز : ماذا يحدث يا أصدقائى الطيبين .

ايفلــــين : (لمــاتيلدا) المولود الجديد . (لجوزيف) منذ ستة شهور وهى تنتظر لتتزوج منك .

ماتيلدا العجوز : بعد أربع أو خمس سنوات سأصبح أهلا لعرض نفسى .

دانيال : وبعد ثلاثين سنة ، ستصبح آية فى الجمال .

ايفلين : تعتقد ذلك .

ماتيلدا العجوز : (تهمهم) لكنه شاب ، لا يمكن أن ينتظرنى.

جوزيف : رعد قاصف . من المؤكد أنى أخطأت الباب . أين أنا هنا ؟

دانيال : على الأرض ، تحت عين الله الساهرة .

(يدخل راؤول)

راؤول : السيد دانيال ، سيد دانيال ، خبر رائع . كم أنا سعيد .

دانيال : حسن ، لعله يريحنى .

راؤول ، لقد أصبحت أوديل لى فى النهاية ، لى وحدى ، لا لأحد غيرى .

ايفلين : هرب بول .

راؤول : كلا ! نسيته . (تدخل أوديل)

أوديــــل : هيــه يا عزيزى • أبحث عنك بالقرب منى ولا أجــدك •

ايفلــــين : غيرت رأيك اذن ؟

أوديــــل : أنــا ؟ مطلقا ، أعلم دائمــا أن حياتى كانت تدفعنى نحو حب فريد •• راؤول ، أنظر الى ، ألم أصبح شفافة ؟ كم سيكون جميلا شبابنا ، يا راؤول • (يدخل بول)

بــــول : سيدتى ••• (فترة صمت)

أوديــــل : (لراؤول) كن مهذبا يا راؤول • بول صديق ساحر ، يحترمك كثيرا • تعلم أنه كان يغازلنى لفترة • هل تستطيع أن تلومه على انه وجدنى حيويــة ؟

بــــول : أوديــل •• ســتكونين أكبر ذكرى لصــدر شبابى • لكن اليوم للأسف ، كل شىء يفرق بيننا • وتهربين منى الى الأبد فى اللحظة التى ستصبحين فيها أنت نفسك •

أوديــــل : لا تصدق أنى سأنساك يا بول • كنت فى حاجة اليك لأحرر نفسى من رغبات طالمــا هزت نفسى قبل أن تشبع • كنت أريد أن اهدىء فضولى

وقد أحسست بخفتى منذ أن جلبت معك ، بالرغم من كل هذه الاشتهاءات التى لم تعد تجذبنى (تلحظ جوزيف) من هذا الصبى الجميل ؟

دانيال : المولود الجديد ••• الخ •

(دانيال وراؤول فى شبه اجتماع سرى • بول يبتعد) •

جوزيف : (لماتيلدا العجوز) من هذه ؟

ماتيلدا العجوز : امرأة وزوجها •

جوزيف : وهذا الصامت فى الركن ؟

ماتيلدا العجوز : صديقها •

جوزيف : صديقها ؟

ماتيلدا العجوز : نعم يسمى ثالث الثالوث • انه فى عمرهما ، كما يبدو ، عمر الثالوث • وقيل لى أن الثالث يمكن أن يكون امرأة • لكن فى هذا الثالوث هو رجل •

أوديل : حب جميل جدا ، وأسفاه •

جـــوزيف : (لمـــاتيلدا العجوز) زوجهـــا ؟ صـــديقها ؟ (لأوديل) سيدتى •

أوديـــــل : عزيـــزى •

جـــوزيف : سيدتى ، أنت تبدين لى سيدة طبيعية •

دانيـــــال : لقد لعبت بها الأقدار لعبة هزلية •

جـــوزيف : أى لعبة هزلية ؟ مطلقا •

دانيـــــال : يشـــكو •••

جـــوزيف : لكننى لا أشكو •

أوديـــــل : لا ينبغى أن تشكو من شىء • لقد أغتصبت •

جـــوزيف : كلا • أف •• بلى •

أوديـــــل : اعترف لى يا عزيزى • لقد أصبت بأذى بالغ حقـــا ؟

جـــوزيف : ألم شخصى ••

أوديـــــل : المسائل الشخصية هى التى تحسب •

جـــوزيف : زوجتى هجرتنى ، وكنت أحبها ••

أوديـــــل : آوه ••

راؤول : منذ زمن طويل ؟

جـوزيف : منذ سبع سنوات .. تزوجنا ولم تكن قد بلغت العشرين ..

أوديـل : ومما تشكو اذن ؟ اذا كانت زوجتك قد هجرتك منذ سبع سنوات وهى فى هذه السن ، فهى الآن فتاة صغيرة جدا !

جـوزيف : هيه ؟

أوديـل : لا يمكن التفكير فى الزواج من امرأة فى وقت متأخر هكذا ..

جـوزيف : أوه .

ماتيلدا العجوز : معى ، سيكون لديه الوقت كله .

جـوزيف : احتفظوا بدمائكم باردة .. زوجتى تبلغ اليوم عامها الثلاثين .

دانيـال : لأنك كنت تقص أيضا على زوجتك نكاتك الصغيرة وكنت تقول لها من الصباح حتى المساء انها ستصبح هرمة .

أوديـل : أى هوى غريب .

دانيـال : هل ترين أى مهزلة يوضع فيها هذا الفتى المسكين .

ايفلين : فى الحقيقة ، هو فتى يرثى له ..

جوزيف : (منفجرا) ليس بعد لكن عندما أقص على زملائى بان هناك من اعتبرنى هذا المساء مولودا جديدا أعتقد انهم سينظرون الى بطريقة تدعو حقا الى الرثاء الحار .

ماتيلدا العجوز : لا يبقى غير اعلانها .. بما انه يسير فى اتجاه . وأسير أنا فى الاتجاه الآخر ، على أن أمسك به . أعتقد انى سأحب كثيرا من يطلقون النكات .

راؤول : (بذوق بالغ لبول) حتى ينسى شيخوخته يخترع ذكريات طفل صغير .

بول : كم هو غريب !

دانيال : (ساخرا) كان بطلا فى كرة القدم .

أوديل : دوليا ؟

جوزيف : كلا ... مدرسيا .

دانيال : مدرسيا .

راؤول : (ساخرا) وكنت تعود الى البيت ببنطلون قصير .

جـــوزيف : تمام (يفتش في ثيابه) ليست معى صورا ..
لأنى لو اطلعتكم على صور لى فى تلك السن
هيه (يشـير الى ارتفـاع صبى) ستجدون
أنفسكم مضطرين الى تصديقى .

دانيـــال : لقد اقتنع تماما انه من عام لآخر سيحيا حياته
بالعكس حتى يصل فى النهاية الى حالة ماتيلدا
الطيبــة .

أوديــل : بافكار مثل هذه ، تكون تعسا حقا .. تتحمل
ولو بالتخيل صورة منحطة الى هذا الحد .

ماتيلدا العجوز : طالمـا يعتقد أنه سيشبهنى فيما بعد ، فيمكنه
أن يتزوج منى على الفور !

جـــوزيف : وهل تعتقدين أن هذه العنزة العجوز ستتحول
بين يوم وآخر الى شابة مليئة بالحياة ؟

ماتيلدا العجوز : عنزة عجوز ؟ !

(آديه وجيرار يدخلان على صوت غناء عذب)

دانيـــال : بجد يا عزيزى الا ما تريد أن تصل بنظريتك ؟

جـــوزيف : ولكنى لا أحمل نظرية .

ايفلـــين : (تغزل التريكو) بلى ! بما انك تعتقد فى وجود

بشر على الأرض يبدون أكثر حيويـة شقرا ومموردين ثم يصيرون أكثر بياضا واخضرارا •

دانيـــال : وحتى أستريح من رؤية امرأة تضمحل فى لحم رخو ، ليس أمامى غير التفكير فى أوردتى التى ستتمدد وقرحتى التى لا مفر منها •

جــوزيف : لكن لا تلمنى على شىء • فلست خالقا لشىء •

أوديــل : منهجك يكشف عن العكس •

دانيـــال : انه انسان عبثى وغير معقول •

جــوزيف : مــاذا ؟

بــول : تنكر ؟ (للآخــرين) انه حيوان عبثى وغــير معقول •

راؤول : تتمسك بأن فلسفتك واضحة وسوية ومفتوحة على الأمل ؟

جــوزيف : جمجمتى يا جمجمتى • كــم أحب ان أجــد أوتوبيسا •

ماتيلدا العجوز : أوتوبيس ؟

جــوزيف : ميدان الكونكورد •

أوديــل : ولمــاذا ميدان الكونكورد يا صغيرى جوزيف؟

جـــوزيف : فقط لكى أقول للمحصل : لوفالوا ــ بيريه أو كوبرى ميرابو واسمعه يجيبنى : بعد ثلاثة أقســام .

أوديــــل : (للآخرين) كيف يمكن أن يكون صبى جميل مثل هذا ثوريا ؟

ايفلـــين : باصرارك على قلب نظام العالم والحياة من أعلى الى أســفل .

دانيــــال : (ثائرا) على حسب تقديرك اذن لا يبقى لى بدلا من شفاء عرق النسا الأيمن غير الأمل فى عرق النسا الأيسر بعد أن تتناسق أجزائى .

جـــوزيف : (لجيرار) حتى انت أيها الشاب الهادىء .

آديــــه : أصبح شابا وهادئا ، أتذكر يا حبى غضباتك ؟

جـــوزيف : وانت سوف تقول لى أنك عرفت خطيئتك فى هذه الحالة (يشير الى ماتيلدا العجوز) وأنك مررت رويدا بعمر هؤلاء الثلاثة .

آديــــه : للأسف .. هذا صحيح .. يا للهول .. أتذكر يا حبى الكبير ؟

جـــوزيف : لكنكم جميعا سقطتم فوق رؤوسكم ؟

دانيـــال : لأن العقل هو الذى يدفعك الى الاعتقاد بأن اللقاء لأول مرة يكون فى هذه السن (يشير الى آديه وجيرار المتشابكين) وهنا يحاول الرجل أن يختار أجمل امرأة فى العالم لتصحبه فى أشد أزماته غير النقيـة (يشير الى أوديل) على أمل أن يعرف بعد ذلك وهو بالقرب منها ورق اللعب والروماتيزم والسعال حتى يعيش سعيدا معها فى آخر سنوات عمره على هـذا الحال (يشـير الى ماتيلدا العجوز) وقد خلف كل منهما للآخر قبل أن يترك الأرض هذه الذكرى الأخيرة والمحزنة •

(الشخصيات جميعا تنفجر ضحكا فيما عـدا جوزيف وماتيلدا العجوز) •

بـــول : قصته لا تستقيم •

دانيـــال : (لجوزيف) هيا••هيا••غازل سيدة أحلامك (يشير الى آديه) وقل لها بأى نفاذ صبر تنتظر ان تغدق عليها الحيـاة بخيراتها وكم ستكون سعيدا لتمكنك من الحزن عليها •

(يجذبه نحو ركبتى ماتيلدا)

يا جميلتى ، يا هدية عمرى •

يا فضيلة حبى المكتمل فى النهاية .
يا مكافأة حياتى وصبرى .
(ضحكات من جديد)

ماتيلدا العجوز : لكن بعد ثلاثين سنة سأصبح جميلة ، جميلة جـدا .

راؤول : هذا ما نقوله يا صديقتى الطيبة ، لا تنزعجى .

ماتيلدا العجوز : لكنى منزعجة .

ايفلـين : لا تتذمرى اذن . يكفينا هـذا (تشـير الى جوزيف) بهذيانه .

راؤول : كيف تفسر ذلك الضـلال الذى دفعنى الى الزواج من زوجتى على مثل هذا الوعد بالهرم ؟

جـوزيف : (لآديه) ألم تكن هرما بالفعل ؟

آديـه : طبعا . واللاكيف .. كنت سأعلم بأنى سأصبح شـابا ؟

بـول : وأى ثمن يمنح لجمالها ان لم تكن قد منيت بكل خبرة الحياة ؟

دانيـال : فى عالمك الخيالى اذن ، توكل هذا الجمـال الفائق للجاهلات ؟ لكن أى ورطة ! الشباب

مغامرة جادة جد لايمكن أن يوكل لمبتدئين غير مجربين .

جبرار : هل تجرؤ على التضحية بقيمة كهذه فى سبيل اناس منحلين ومترددين ؟

أوديل : وتركها للقاءات غبية بالصدفة ؟

ماتيلدا العجوز : لكنى اتمتع بشىء من العقل .

راؤول : حقا .. اهدائى .. وتعلمى ببطء كيف تكونى يوما جديرة بافضال المستقبل .

ماتيلدا العجوز : (لجوزيف) لكن دافع عن نفسك يا جوزيف .

ايفلين : فى عالمكم تكون الحياة اذن هبوط الى الجحيم؟

دانيال : هذا الرجل ابليس .

جوزيف : مطلقا .. أنا رجل يريد أن يفهم .

دانيال : هنا .. تمثل الله .. انه خالقنا القادر .. والقادر بالضرورة عادل والا كان اليأس من العدالة (استحسان الجميع) هل تتصور عالما تسير فيه العدالة عاجزة ؟ واللا لما كان هناك أى اتجاه له أى نهاية . ذلك ان حياتنا كاملة لأنها تجيئنا من الاله الطيب .. لهذه العدالة

وهذا الكمال .. فاننا نتفق على أن نسعد على حسب قواعد السعادة بلا أى قيد من أى نوع .

جـــوزيف : (لجيرار وآديه) اذن طفتما أنتما الاثنين بالفعل كل مضامير الحياة بهذا المعنى .

آديــــه : هـذا الوحش لن يجبرنى على التذكر ؟ جيرار يعرف جيدا انى خرجت من الخطيئة ثم جئت اليه فى النهاية اليه وحده ، كلى له .

جــــيرار : حبيبتى الغالية ..

جـــوزيف : ولكنه نقاء مبالغ فيه .. ألم تخجلا أحيانا ؟

آديــــه : أو جيرار ! ليسـكت .. (لجوزيف) عندما أتذكر بالطبع .. كيف تريد فتـاة الا تدقق النظر فى حياة امرأة محبة فى الثلاثين .

أوديــــل : أى اشمئزاز ؟ لا يوجد اشمئزاز طالمـا أعلم أن شبابى سيطهرنى .

جـــوزيف : لحظة ! النساء عندنا تستمر أعذارهن وهن فى الثلاثين . لكن ليس عندكم .

أوديــــل : لمـاذا عندكم وليس عندنا ؟

جـــوزيف : ياه .. عنـدنا تحس التعيسات بالشيخوخـة

تقترب فيرغبن فى استثمار الحياة وهن لازلن قادرات على العطاء •• وكلما تقدمت بهن السن كلما اقتربن من الجنون •• فمع الشيخوخة تتشوه وجوههن يوما بعد يوم دون أن يفقدن رغباتهن •• ويسألن فى كل مرة اذا لم يكن قد أحبهن أحد لآخر مرة •• واذا كن لن تلتقين بآخر محب •• وهكذا من المحب الأخير الى آخر محب تصعد وراءهن سلما حقيقيا ! أما أنتم فلا تستطيعون الانتظار طالما ان شبابكم يتجدد يوما بعد يوم •• أليس كذلك ؟

أوديل : والرغبة وعدم الصبر •• ماذا تفعلون بهما ؟ سل هذه •

ايفلين : دعينى اطرز •• هيه ؟

آديه : والرجال الا يعرفون عدم صبرنا ؟ (لجيرار) انت •• عندما كنت أنا فى سن ايفلين ، ألم ترتمى فى أحضان فرناندا لتتعرف قبل الأوان على جسد وروح امرأة مكتملة الجمال ؟

جيرار : واعجابك بالنساء الهرمات ؟ هل نسيتيه ؟

آديه : وهذه المغنية الهزلية التى اعتقدت انك تحبها لانها تنوح بصوت معيزى •

جيرار : وانت هل نسيتي ريمون ؟ هذا الرجل القوى ، هذه القدرة الخارقة لأن الآخرين كانوا ينحنون أمامه ؛ ألم ترغبى فى الارتساء تحت قدميه ؟ تعتقدين أنى نسيت ؟

آديه : وسباحتك الأوليمبية ؟

جوزيف : أوه .. بمعنى أو بآخر توجد دائما تلك الضحية .

جيرار : وعندما أصبحت أكثر شبابا وبدأت تحبين المسنين .

آديه : كان ذلك لكى أستردك من جديد .. لأنى كنت قد أحببتك منذ البداية فى كل مراحل عمرك .. وكنت احتفظ بذكرى مغريات حبنا الأولى .

جيرار : أنا أيضا .. كنت مخلصا لك دائما .. كل النساء اللائى كنت قد اعتقدت انى أحببتهن كن شبيهات لك . جان كان لها عيناك ، بولين رقتك ، أدموند قلبت كيانى لأنها كانت أصغر منك بعشر سنوات وكانت تمنحنى ما كان عليك ان تمنحينى اياه دائما . قبلك أو بعدك وبالقرب

من كل هؤلاء النساء الساحرات هل كنت أبحث عن شيء آخر غير وجودك وحدك الى جانبى ؟

آديـــــه : لنكف عن هذا !

جـــيرار : انت نفسك لماذا تركت نفسك تتمادين مع رودلف فى كل نزواته المجنونة ؟ هل منعنى عنه شيئا ؟ أو منعتى عنه احساسا ؟

جـــوزيف : على طريقتك فان الفتيات الصغيرات يصبح لديهن خبرة .

راؤول : وهذا ما يعطى لطهارتهن طعما .

جـــوزيف : (لجيرار) وهذا الفم الذى يقول لك اليوم كلمات الحب قد كذب فعلا .. هذه اليمامة المليئة بالحياة لازال رأسها يحمل ذكرى كل الرجال فى حياتها .

دانيـــال : ولكنها لم تعد تعرفهم .

جـــيرار : ولم تعد تكذب مطلقا .

آديـــه : أوه كلا .. ليحمنا الله .. كل هذه الحياة المبتورة تحيا وراءنا .

جـــيرار : بالجمال تصل الى التطهر .

جـوزيف : عندما كانت زوجتى طاهرة كانت على الأقل طاهرة .. طاهرة تماما .. فى البداية .. وعندما كانت شابة تقول لى كلمات الحب ، كانت هذه الكلمات جديدة تماما .

دانيال : وهل كنت تستطيع أن تؤمن بالسعادة وأنت تصيح بكلمات الحب المشكوك فيها بأكاذيب المستقبل ؟

أوديل : عموما وعلى حسب ما فهمت فان زوجتك تعلمت معك دروسها الأولى لكى تحب الآخرين ؟

آديه : وأحبتك بشكل أو بآخر بالصدفة .

راؤول : لا تخلط بين الطهر والجهل .

ايفلين : وفيما يفيد التطهر وسط مصاعب الوجود اذا ما توصلت الروح الى التجمل عندما يصبح الجسد على هذه الحالة ؟

ماتيلدا العجوز : لكن جسدى سيتحسن .. ألم تقل لى ذلك بنفسك ؟

دانيال : حقا .. هدئى من روعك .

جـــوزيف : قولى له .. بغير ذكريات ماذا تسمين الحب فى مثل سنك ؟

ايفلـــين : الحب العاقل .

دانيـــال : رغبتنا الملحة فى أن نكون سعداء معا بعد ذلك فى فرحة الشباب .

آديـــه : هذا المسكين لا يفهم شيئا .

ايفلـــين : والحياء .. ماذا تفعل فى حياء النساء ؟

أوديـــل : (لراؤول) كم هى محقة .. هل كنت أجرؤ على ربط حيـاتى بحياتك يا حبى لو لم أكن متأكدة من أن صدرى سينهض وأن جسـدى سيستقيم وان شخصيتى ستظل متيقنـة من انى لن أحب سـواك فى النهاية بعد أن أكون قد عبرت كثيرا من الطرق الملتوية (لبول) وهل كنت لأترك نفسى اتخبط فى الخطايا المخيفة بغير هذا الوعد بالجمـال العذرى والخطيئة الهالكة حتى أمنحه حبى الوحيد ؟

بـــول : (لأوديل) انت التى ستصيرين يوما بعد يوم أكثر جمالا بين أحضان زوجك .. أوه .

أوديـــل : (لجوزيف) اقترب يا صديقى .. الا تعتقد

حقـا اننا نظل على الأرض فى حـالة ماتيلدا العجوز لكى تتذكر حبها الأجمل ؟

جـــوزيف : أنـا •• أريد أن أصــدق حقا •• لكن فى نظامكم تقبلون أيضا الانفصال ذات يوم •

أوديـــل : يحكى أن عناق الرجل فى احدى الليالى يصبح فجأة غاية فى القسوة حتى تطلق الفتاة الصغيرة صرخة مدوية من الألم ثم لا تسمح له بعد ذلك أن يقترب منها •• فى اليوم التالى ترتدى ثيابا بيضاء تماما •• ويلتقى المحبان نادرا بعد ذلك• وعندما يلتقيان يحمر وجهيهما ويضطربان أمام ذكرياتهما الساحرة ، وقد يجرؤان على التماسك بالأيدى •

جـــوزيف : وبعد ذلك ؟

أوديـــل : يذهبان الى المدرسـة ليتعلما وليقرآن الكتب الجـادة التى لم يجدا الوقت طوال حياتهـا لقراءتهـا •

جـــوزيف : وبعد ذلك ؟

أوديـــل : وبعد ذلك •• شىء محزن •• أليس كذلـك يا دانيال ؟

دانيـــــال : لا يهمهما أى شيء ، ثم يفقـدان الذاكرة ..
ثم أسنانهما .. ثم شـعرهما .. يصيحان ..
ولكى نسكتهما .. نضربهما .

أوديـــل : ويمثلان دور الصغار أكثر فأكثر حتى يغض النظر عنهما .

دانيـــال : وينتظران اختفائهمـا بغير ضـمير خالص ..
ويصبحان كفرعين لم يكن لهما جذور .

أوديـــل : وفى النهاية يحتضران .

جـــوزيف : لكنه شيء فظيع .

راؤول : ومن لا يحب ذلك يمكنـه أن يأمل فى الموت مبكرا .

جـــوزيف : دون أن يصبح شابا ؟

دانيـــال : وفى نظامكم يحـدث العكس ، لا تخشـون الموت قبل أن تصبحوا شيوخا ؟

جـــوزيف : أوه ..

(موسيقى . الجميـع يسكتون جوزيف ..
فترة صمت .. البـاب يفتح . يدخل رجـل
مسن جدا) .

الرجل المسن : اعتذر بشدة عن تأخرى ..

ماتيلدا العجوز : انه المولد الجديد المولود الجديد الحقيقى !

الرجل المسن : لكنى امشى بصعوبة .

ماتيلدا العجوز : آوه .. هذا الرجل لى .. انه لى .

الرجل المسن : وأتألم ..

دانيـــال : ستشفى ..

الرجل المسن : من حسن الحظ .. لكن تنقصنى العادة .

جـــوزيف : هو أيضا مولود الآن ؟

الرجل المسن : جعلونى انتظر قليلا حتى أحمـل اليكم نبـأ لا أعرف كنهه .. لكن يبدو انه خبر طيب .. وان كنت بعد لا أعـلم جيـدا ما هو الخبر الطيب .

ماتيلدا العجوز : سوف نشرح لك ذلك .. ما اسمك ؟ هذا الاسم الذى سأناديك به عندما أصبح جميلة ؟

ايفلـــين : اسكتى اذن .. ليست لديك اللياقة .

الرجل المسن : قالوا لى عند الدخول عندما تصـل اخبرهم بالنبأ الطيب وستستقبل كما المنقذ . وان كنت لا أعلم جيدا بعد ما معنى منقذ .

ماتيلدا العجوز : أنـا .. ماتيلدا .. وانت ؟

الرجل المسن : جوزيف .

ايفلـين : أيضـا ؟

ماتيلدا العجوز : لكنه الحقيقى .

بـول : المعلومة اذن ؟

راؤول : ألازلت تذكر ؟

الرجل المسن : اعتقد . انه تقدم كبير كما يبدو .. اكتشاف علمى عظيم . وان كنت لا أعلم جيـدا بعد ما معنى اكتشاف علمى عظيم .

راؤول : سنشرح لك ذلك .

بـول : فيما بعد .

دانيـال : هيـا قـل .

الرجل المسن : يبدو انه بعد أبحاث كثيرة توصـل العلماء الى اضاعة وافساد واخفاء سر القنبلة الذرية .

أوديـل : أوه .. جوزيف .. حفظنا الله .

بـول : ففقدوا السر .

الرجل المسن : هذا هو الرسمى .

دانيـــــال : (منتصرا) ستصبح الحروب مستحيلة .

جـــوزيف : ليس تماما ! يمكن اعلان الحروب بدون القنبلة الذريــة .

راؤول : لكنك لا تعرف شيئا يا عزيزى .

دانيـــــال : وهل سيتحارب الناس بوجه مكشوف ؟

بـــول : ويلهون بالقفز كالأرانب أمام بندقية صياد .

راؤول : كيف كان يمكن من قبل تصور حرب تبدأ قبل تدمير الجيش المعادى .

ايفلـــين : (وقد أصبحت رقيقــة أخــيرا) عزيزى .. ستصبح حياتنا هادئة ، هدية قيمة لحبنا المقبل .

أوديـــل : (لآديه وجيرار الضائعين دائمــا فى حلمهما) يدعو ذلك لحماس جديد ؟

آديـــه : حبنا الجميــل وحــده هو الذى يستطيع أن يحمســنا .

دانيـــــال : كان الأنبياء يفكرون تفكيرا ســليما عندما أكدوا ان العلمــاء سيضمحلون يوما وعندئذ

نعرف ان الأرض هى مركز الكون وانها ثابتة تحت النجوم .

جـــوزيف : لكن هذا هو العكس .

دانيـــال : نعتقد ان الله قد خلق الانسان على شاكلته لكى يجعله يتقلب على الثرى بين الثرى فى خلاء السماء ؟

بـــول : بما اننا صورة حية لله .. فمن المؤكد أن تكون الأرض هى مركز الكون .

جـــوزيف : والنجوم التى تدور كالشموس ؟

راؤول : وماذا بعد النجوم ؟ تريـد آن تقنعنـا بانك شاهدتها عن قرب مثل شبابك الأول مثلا ؟

ماتيلدا العجوز : لكن لماذا يريد آن يدفعنـا الى اليأس .. هذا الجوزيف المزيف .

راؤول : نعم .. لماذا ؟

ماتيلدا العجوز : ايركع ! ليطلب الصفح راكعا .

جـــوزيف : أريد حقا أن اصلى معكم .. لكن اعتقد بأمانة انكم مخطئون .

دانيــــال : قل : اعتقد يا خالقى فى رحمتك اللانهائية .

جــوزيف : لكنى أرغب فى ذلك حقا . لم أشـك مطلقا فى ذلك .

أوديــل : بأفكارك الســود الميتة يغرق مستقبلنا وتغرق جيوبنا تحت أعيننا .

الرجل المسن : (يشرب نبيذا) آوه .. ها .. ها .. تبـدو كالبومة الصماء هذه الحياة .

دانيــــال : ايه .. ها .. لا تسكر فى اليوم الأول .

الرجل المسن : اسكر ؟ ما معنى هذا ؟

ماتيلدا العجوز : سينشرح لك ذلك .

دانيــــال : (لجوزيف) أما انت فاننا نطردك .

راؤول : الصبى الرائع الجمال ؟

ماتيلدا العجوز : يا له من غاصب ها هو مولودى الجديد .

الرجل المسن : وهذا يدفئك جيدا .

ماتيلدا العجوز : لا تدفء نفسك كثيرا بدورك .

أوديــل : (برقة) جوزيف .

راؤول : (مضطربا) وبعد يا أوديل .

دانيـــال : (لجوزيف) اذهب لتجد فى ضـلالك آمالك الخاصـة بعرق النسا والقرحـة والأجزيمـا ومغرياتك الخاصة بالصلع ورغباتك الخاصـة فى ضـعف البصر .. هيـا .. اذهب لتنعش روحك الضائعة برؤاك الثقيلة التى تنحدر الى الخطايا والدنس .

ماتيلدا العجوز : خذ .. تنـاول عكازى ستحتـاج اليهمـا فيما بعد ..

راؤول : لم يدعك الله لتعيش معنا .. فى عالم واضح .. سوى ، مفتوح على الأمل .

أوديـــل : (لراؤول) الصبى الرائع الجمال ؟

جـــوزيف : لكى يضعونى على الطريق السليم..كنت أحب شبابى .. وأريد فعلا أن استعيده معكم .. سأقيم كل الصلوات التى تشيرون على بها لكى أساعدكم .

الرجل المسن : (مخمورا) لو أستطيع أن أصبح مفيدا .

أوديـــل : لا تكونوا قساة مع هـذا الصبى التعس .. والساحر معا .. لن أتعجب من أن يكون حزن

بالغ هو الذى قلب جمجمته .. فأنتم تتكلمون .. تتكلمون .. دعونى أسأله .. قل لى يا صديقى كنت متزوجا اذن ؟

جوزيف : نعم ؟

أوديل : وكانت زوجتك تحبك ؟

جوزيف : فى البداية .. نعم .

أوديل : فى البداية ؟ كيف ذلك ؟ منذ اليوم الأول .. حب كبير .

جوزيف : نعم .. عندكم يكون فى النهاية .. أعرف ذلك .. أما عندنا فيكون فى البداية .. وعندنا يصبح الحب فى النهاية عادة .

أوديل : وزوجتك .. ألم تتعلم هذه العادة التى تتكلم عنها ؟

جوزيف : رحلت قبل ذلك !

أوديل : ورأيتها مرة أخرى ؟

جوزيف : زوجتى ؟ نهائيا .. فى الحلم فقط .. فى تلك الكوابيس المرعبة .

أوديل : حقا ، ولازلت تتألم ...

جـــوزيف : شيء غريب حقا •• انسان لايوجد بيننا •• لا نراه •• ولا نلمسه •• ومع هـذا يؤلمنـا الى درجة الصراخ •

أوديـــل : ذهبت مع أحد أصدقائك ؟

جـــوزيف : ولا هذا حتى ! مع رجل ما •

أوديـــل : لم تكن تعرفه من قبل ؟

جـــوزيف : ربما كانت تعرفه جيدا ! بالنسبة للنساء لايمكن ادعاء أى شيء •

أوديـــل : حدث ذلك منذ زمن بعيد ؟

جـــوزيف : يخيل الى انه حدث بالأمس وأيضا فى مطلع حياتى وفى صدر الزمن •

أوديـــل : كم كانت تبلغ من العمر ؟

جـــوزيف : ست وعشرون عاما •

أوديـــل : وكانت جميلة ؟

جـــوزيف : أوه •• نعم رائعة الجمال •

أوديـــل : آه حقـا كـدت أنسى •• طبيعى •• كانت جميـلة •

جـــوزيف : لأنهـــا وهى فى العشرين كانت أجمـل من امبراطورة من الامبراطورية الثانية •

أوديـــل : والآن هى هرمة تضمر وتتثاقل •

جـــوزيف : قانون الطبيعة •

أوديـــل : والذى خطفها هو الآخر يزبل وينحنى •

جـــوزيف : ليس بعد ربما •• لكن سيحدث •

أوديـــل : وفى نهايـة قصـة الامبراطورة الجميلة التى خطفت لا يبقى بين ذراعى خاطفهـا غير بقايـا انسانة ممسوخة ومخيفة •

جـــوزيف : (ساخرا) ايه •

أوديـــل : أصـدقائى المسألة بسيطة •• هـذا الصبى السـاحر لكى يتجنب كارثة أخلاقيـة ولكى يتغلب على حزن رهيب •• هرب الى فـكرة محددة وهى أن زوجته تركته لتتبع حبيبها •

جـــوزيف : (وهو يتعذب) أوه •

أوديـــل : لا يعرف أين تختفى •• يعرف فقط انها بين ذراعى رجل آخر •

جـــوزيف : أوه ..

أوديـــل : وحتى يتجنب يأســه لا يستطيع أن يكف عن التفكير فيها .. وهكذا يردد بلا ملل أنها تبلغ الشيخوخة .. انها تبلغ الشيخوخة .

جـــوزيف : وحبيبها أيضا ، يبلغ الشيخوخة !

أوديـــل : (منتصرة) وهو أيضا يبلغ الشيخوخة .. هل ترون ! الاختبار يفضى الى نهايات واضحة جدا جوزيف يمارس ببساطة حلما تعويضيا ؟

راؤول : لكن اذا كان تحليلك سليما فلماذا يتصور اذن انه يسير هو أيضا نحو الشيخوخة ؟

دانيـــال : (مقتنعا بهذا الاعتراض) فعلا لمـاذا ؟

أوديـــل : الأمر سهل وهذه الملاحظـة تؤكد بطريقـة لا تقبل المناقشـة تشخيصى بأنه يحيـا مرة أخرى شيخوخته وسنوات عمره الناضجة وهى المرحلة التى كان فيها سعيدا مع زوجته .

جـــوزيف : مـاذا ؟

أوديـــل : انه الكشف اللاشعورى عن رغبته فى استعادة زوجته ، وحبه وسعادته .

بـــول : انت محللة غاية فى الحساسية •

الرجل المسن : (مستمرا فى الشراب) هيه •• هيه • شى مسـلى •

ماتيلدا العجوز : من الغد أنت ، سأضعك فى المـاء !

أوديــــل : (لجوزيف) صـديقى لقد لجـأت الى قصة من فعل الجان حتى تتجنب ألمـا رهيبا سأهديك بكل هدوء الى الطريق الصحيح •• وأعلمك من جديد سعادة الحياة •

راؤول : أوديل •• أوديل •• آه •• لا •

أوديــــل : ولكى اساعدك سنلعب لعبتك سأسمى زوجتك ماتيلدا •

جـــوزيف : (فى ضيق) لكنها كانت تدعى ماتيلدا •

أوديــــل : مثل عجوزنا ماتيلدا ؟ لا أدرى لمـاذا ولكنى كنت سأحكم عليها • يا حبى الغالى المسكين •

راؤول : أوديل (لبول) لكن افعل شيئا انت •

أوديــــل : صغيرى جو ، اتبعنى الى السطح •

جـــوزيف : (لأوديل) ولم لا ؟ بعد كل شىء فانى أريد حقا أن أحاول الحياة فى الاتجـاه الآخر ••

لكن يجب على أن انبهك .. لتعلمى ما أعلمه
وهو ان شبابا جديدا سيتسبب فى تطاير الشرر.

يفلـــــين : ويعـود .

جـــوزيف : (لراؤول) هل تسمح ؟ سنتظهر .

وديـــــل : يا له من شىءفظيع !

(موسيقى .. يخرجان)

لرجل المسن : (مأخوذا بآلامه) أى ! أى !

ماتيلدا العجوز : يقولون أن الآلام تنتهى بحكم السن .

راؤول : أوديل .. أوديل .

بـــول : (لراؤول) لا يحق لك أن تشـكو سـوف يعودان اليك .

أيفلـــــين : (لدانيال) العب .

(يمسك بورقة واحدة ولا يلعب)

الرجل المسن : لكن قولى .. تعدينى بأن تصبحى جميلة .

ماتيلدا العجوز : نعم وانت أيضا ستصبح جميــلا يا صغيرى جوجو .

ايفلـــــين : العب (آديــه وجيرار يتجهــان نحو بــاب الخروج) •

آديـــــه : وفى يومنــا الأخــير أكون فى ثوبى الأبيض الطويــل •

ايفلـــــين : العب (دنيال لا يجرؤ على اللعب) •

جـــــيرار : ويختفى الاثنان فى النهاية كما لو كانا ملاكين • (يختفيــان)

ايفلـــــين : العب !

دانيـــــال : (بحزن بالغ) الملك !

ايفلـــــين : أوه كم تزعجنى •

دانيـــــال : كونى صبورة بما ان الله بفضــله اللانهــائى يقودنا عاما بعد عام نحو السعادة والشــباب والحب • (موسيقى عنيفة)

(ســتار)

باريس ـ يناير ١٩٥٢

يونسكو ..
ومسرحه الغريب !

ولد « أوجين يونسكو » فى سلاتينا برومانيا يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٢ .. تردد بين الدراسة الدينية والدراسة العسكرية.. لكنه التحق بجامعة بوخارست ليدرس الأدب الفرنسى وفاء لأمه الفرنسية .. واتجه الى المسرح فى سن متأخرة (٣٧ سنة) عن طريق المصادفة .. كتب « المغنية الصلعاء » سنة ١٩٤٩ ثم « الدرس » سنة ١٩٥٠ ، وعرضت المسرحيتان على مسارح الجيب ففشلتا فشلا ذريعا وهوجمتا من النقاد هجوما حادا وعنيفا .. ولكن يونسكو سرعان ما عرف مع « بيكيت » كأهم كاتبين لما سمى بمسرح الطليعة أو مسرح العبث واللامعقول .

وابتداء من عام ١٩٥٤ ، وبعد أن قدم « يونسكو » مسرحيته الثالثة « اميديه » لم تتوقف المسارح عن تقديم عروض له سواء فى فرنسا أو خارجها ولم تتوقف المطابع عن طبع مسرحياته فى لغتها الفرنسية واللغات المختلفة التى تترجم اليها وعن طبع الدراسات العديدة التى تتناوله هو ومسرحه بالتقييم والتحليل .

وقد كرمته « فرقة الكوميدى فرانسيز » العريقة فقدمت فى سنة ١٩٦٦ مسرحيته الكبيرة « الجوع والعطش » التى أخرجها « جان ــ مارى سورو » أحد كبار المخرجين فى فرنسا اليوم .. كما كرمته الدولة الفرنسية فمنحته جائزة المسرح الكبرى فى أول عام لها ، عام ١٩٦٩ .

أما مسرحيته الأولى ومسرحيته الثانية فيقدمهما « مسرح الجيب » فى عرض واحد منذ أكثر من عشر سنوات بلا انقطاع .
يقول « يونسكو » : لا شىء يضحك ، كل شىء يبكى .. لا شىء يبكى ، كل شىء يضحك .

وهكذا يصور شخصيات مسرحياته .. انه يصورها تصويرا كاريكاتيريا على الرغم من أنها جادة تماما فيما تفعل وتقول .. وسواء كان ما تفعله حركات هازلة أم أن ما تقوله عبارات ضاحكة وساخرة ، فالامعان فى الجد ازاء شىء هزلى يعطى احساسا أعمق بالمهزلة .

ويرى يونسكو أن التمثيل ما هو الا صورة للشخصية وليست الشخصية نفسها .. وعلى هذا فليس من الضرورى أن يقوم بدور الفتى ممثل شاب ويقوم بدور العجوز ممثل طاعن فى السن .. بل من الأفضل أن يحدث العكس تماما ، حتى يعطينا هذا الممثل أو ذاك صورة الشخصية التى يقوم بها وليست شخصيته هو .. بل يذهب يونسكو الى أكثر من ذلك عندما يجعل الرجل ممثلا لدور المرأة ، كما فى مسرحيته « الدرس » وفى هذه المسرحية « فتاة للزواج » .

ويؤكد يونسكو أن مفتاح العمل الفنى لمسرحياته هو ادراك الجو الذى تعيش فيه الشخصيات وهو « لا واقع الواقع » ــ على حد تعبيره ــ مع عدم الاهتمام بقواعد المسرح التقليدى ..

أما النقاد فقد لاحظوا أن مسرحيات يونسكو كلها تدور حول محورين أساسيين لا ثالث لهما .. « مأساة اللغة » و « انعدام الاتصال » .. ذلك أن اللغة التى تستخدمها شخصياته المسرحية تبدو عقيمة ، غير محددة المعانى وقد تحمل كلماتها أكثر من معنى ، بحيث تتحول الى موصل ردىء للتفاهم ، مما يؤدى فى النهاية الى سوء التفاهم وسوء الفهم بل والى نتائج عكسية وسيئة .. كذلك تحيا شخصيات يونسكو المسرحية منفصلة داخل ذواتها بعد أن انعدم الاتصال والتواصل

بين بعضها البعض ، فكل شخصية تحيا حياتها وحدها وتجتر ذكرياتها وتنفث أفكارها الخاصـــة بها وتعزل أحلامها التى تحلم بها بعيدا عن الآخرين •

هـــكذا رأينا تلميذة (الدرس) و (المغنية الصلعـــاء) والكاتب الفاشل (اميديه) والزوج المعذب فى (ضحايا الواجب) والزوجان الوحيدان فى (الكراسى) والملك فى (الملك يموت) والانسان الوحيد فى (الخرتيت) والانسان الغريب فى (الجوع والعطش) والفتاة الرجل فى هذه المسرحية (فتاة للزواج) •

ولاشك فى النهاية أن معرفة الكاتب أى كاتب والتعرف عليه ، انما تتأتى فى المقام الأول من قراءة انتاجه •• وهـــذه المسرحية القصيرة تمثل ــ على قصرها ــ أدب يونسكو المسرحى وجانبا كبيرا من فكره الفلسفى أيضا •

***

فتـــاه للزواج

مسرحية : أوجين يونسكو

● فتاة للزواج

● يونســـكو

المشــهد :

يدور فى حديقة عامة ، على اريكة تجلس سيدة تضع على راسها قبعة محلاة بالزهور ودبوس كبير ، تمسك حقيبة وترتدى ثوبا طويلا وجاكت بنفسجى اللون .. الى جوارها يجلس رجل يرتدى حلة سهرة ذات ياقة عالية ورباط عنق اسـود ، اما لحيتـه فيكسـوها البياض .

الســيدة : يمكننى أن أقول لك أن ابنتى كانت متفوقـة فى دراستها .

الرجــل : هذا ما لم أكن أعرفه ولكنى كنت أتوقعه .. كنت أعلم فقط أنها فتاة شجاعة .

الســيدة : لم يكن عندى ما أشكو منه ، كما هو الحـال عند الكثيرين من الأهالى ، فقد أرضتنا دائما .

الرجـل : هذا شرف لكما ، فقد نجحتما فى تربيتها ، لأن الطفل المثالى نادر الوجود خاصة فى عصرنا هذا .

السيدة : حقا !

الرجـل : فى زماننا كان الأطفال أكثر طاعة وأكثر حبا للأبوين .. كانوا يقدرون تضحياتهما وهمومهما ومشاكلهما المادية .. لكن من الأفضل أن يجهلوا مثل هذه الأمور .

السيدة : حقا ! .. كانوا أيضا أكثر ..

الرجـل : كانوا أيضا أكثر عددا من الآن ..

السيدة : حقا ! .. يبدو أن عدد المواليد ينخفض فى فرنسا .

الرجـل : هناك ارتفاع وانخفاض ، أما نسبة المواليد الآن فتميل للارتفاع .. ولكن لا يمكن أن يعوض هذا سنوات القحط .. لا يمكن قول ذلك !

السيدة : كلا بالطبع .. عندك حق .. تخيل !

الرجـل : نعم ، ان تربية الصغار فى وقتنا هذا من الأمور البالغة القسوة .

السيدة : حقا ! أنا لا أدرى بذلك .. ان تكاليف الحياة

في ارتفاع مستمر .. أننا نحتاج الى كل شيء ،
كل شيء نحن في حاجة اليه الآن .

الرجل : ما هو مصيرنا ؟ .. ان الحياة الانسانية وحدها هي الشيء الأرخص اليوم .

السيدة : حقا ! .. هذا صحيح .. انك فعلا على حق .

الرجل : الزلازل وحوادث السيارات والطائرات وكل أنواع المركبات والآفات الاجتماعية والانتحار والقنبلة الذرية .

السيدة : أوه ! أما هذه .. يبدو أنها قد غيرت طبيعة الجو ، فلم نعد نعرف فصول السنة ، لقد قلبتها رأسا على عقب ! .. وهناك أشياء أخرى .. أتدري ماذا يقول الناس ؟ !

الرجل : أوه ! يقولون أشياء كثيرة .. ولكن لو صدقنا كل ما يقوله الناس !

السيدة : هذا صحيح . فلن ننتهي أبدا .. حقا ! فالجرائد تكذب وتكذب وتكذب .

الرجل : افعلي مثلي يا سيدتي ولا تثقي بأحد مطلقا ، ولا تصدقي شيئا ولا تتركيهم يملأون رأسك .

السيدة : حقا ! .. من الأفضل الا أتركهم يملأون رأسى ..
أنت خير ناصح .

الرجل : أوه ! انى أتمتع بقليل من الفطنة ، هذا كل ما فى
الأمر .

السيدة : ولكن الجميع لا يستطيعون أن يفعلوا مثلك !

الرجل : والآن يا سيدتى ، هل ترين ، فالكل يبحث عن
التسلية والملذات والانفعالات .. السينما والاذاعة
والتليفزيون والأسطوانات والمجلات وركوب
الطائرات ، هذا فضلا عن الضرائب .

السيدة : نعم ! هذا كلام فى موضعه .

الرجل : والسجون والشوارع الرئيسية والتأمينات
الاجتماعية وكل شىء كل ما ..

السيدة : حقا ! .. حقا ! ..

الرجل : كل ما يجعل للحياة الحديثة سحرا ، كل هذا قد
غير الانسانية الى الحد الذى جعل التعرف عليها
مستحيلا .

السيدة : وهذا ليس فى صالحها .. حقا !

الرجل : ولكن التقدم المضطرد لا يجدى .

السيدة : صحيح !

الرجل : فى التقنية ، فى العلوم التطبيقية ، فى الميكانيكا ، فى الآداب والفنون .

السيدة : نعم ، بكل تأكيد .. وينبغى أن نكون عادلين ، فان الظلم شىء فظيع .

الرجل : يمكننا أن نصل بالعقول أيضا الى أن الحضارة تنطور بلا انقطاع فى اتجاه سليم ، وهذا بفضل الجهود المشتركة لجميع الأمم .

السيدة : هذا صحيح ، وكنت على وشك أن أقول ذلك .

الرجل : فكم من مسافات قطعناها منذ كان يعيش أجدادنا فى الكهوف ، يفترسون بعضهم البعض ويتغذون بجلود الخرفان .. يا له من مشوار طويل قطعناه .

السيدة : أوه .. حقا ! .. حقا ! .. والتدفئة يا سيدى ، ماذا عن التدفئة ؟ ! هل كانت توجد تدفئة فى الكهوف ؟ !

الرجل : أنظرى يا سيدتى العزيزة ، عندما كنت غلاما .

السيدة : يا لها من مرحلة سعيدة .. كم هى سعيدة هذه السن !

الرجل : كنت أعيش فى الريف •• ولازلت أذكر •• كنا ندفىء أنفسنا بحرارة الشمس ، صيفا وشتاء ، وكنا نضىء بيوتنا بالنفط •• كان أرخص فى ذلك العهد من اليوم •• وأحيانا كنا نضىء بالشموع •

السيدة : وذلك ما يحدث حتى الآن ، عندما ينقطع التيار الكهربائى •

الرجل : ان الآلة أيضا ليست كاملة ، فلقد اخترعها الانسان وبالتحديد الرجل ، ولذلك ففيها كل نقائصه !

السيدة : أوه ! لا تحدثنى عن نقائص الرجال ، انى أعرف جيدا ، فالرجال ليسوا أفضل من النساء ، الكل سواء ، ولا مجال للمفاضلة أو الاختيار •

الرجل : مفهوم •• ولكن لماذا يطلب من الرجل أن يؤدى جهدا تعجز الآلة نفسها عن تأديته ؟ !

السيدة : أعترف بأنى لم أفكر فى ذلك قط •• أما اذا فكرت فى الأمر جيدا فانى أرى أن ذلك يحدث فعلا •

الرجل : سيدتى ، ان مستقبل الانسانية فى الغد •• ولكن العكس هو الصحيح بالنسبة للحيوان أو النبات•• ولا ينبغى أن نتصور أن الآلة ستحل محل الانسان وأننا لن نبذل أى جهد فى المستقبل •

السيدة : أنا لم أقل ذلك .

الرجل : كنت أقول أن الانسان هو أرقى الآلات الانسانية .
فالانسان هو الذى يدير الآلة ، لأنه هو العقل !

السيدة : قول جميل !

الرجل : أما الآلة فهى الآلة .. الا اذا استثنينا الآلة
الحاسبة التى تحسب وحدها .

السيدة : هذا صحيح .. فهى تحسب تلقائيا .. قولك فى
منتهى الصواب .

الرجل : وما هذا الا استثناء يؤكد القاعدة .. فمنذ برهة
كنا نتحدث عن النفط والشمع ، أيامها كنا نشترى
البيضة بسنتيم واحد لا أكثر .

السيدة : غير معقول !

الرجل : صدقينى .

السيدة : لا أشك فى قولك !

الرجل : كنا تتناول العشاء بعشرين سنتيما .. ولم يكن
الطعام يكلفنا كثيرا فى ذلك الوقت .

السيدة : لقد تغيرت الأحوال الآن .

الرجــل : كنا نشترى الحذاء الجيد بثمن لا يتجاوز الفرنك الواحد •• ان شباب اليوم لا يعرف ذلك •

السـيدة : انه لا يدرك مدى السعادة التى يعيش فيهـا ! ان الشباب ناكر للجميل ، جاحد •

الرجــل : كل شيء الآن قد زاد ثمنه ألف مرة ، فهل يمكننا القول بأن الآلة اختراع طيب وأن التقـدم شيء جيــد ؟ !

السـيدة : بالطبع لا !

الرجــل : سوف تقولين أن ثمة تقدما سليما وتقدما خاطئا ،

السـيدة : لا •• لا ! لا يمكننى قول ذلك •

الرجــل : ولم لا ؟ ! يمكنك قوله ، فهذا حقك !

السـيدة : موافقـة !

الرجــل : انى احترم كل الآراء •• فأفكارى ليست جامدة •• الثورة الفرنسية مثلا ووليم الثانى وعصر النهضـة ولويس الرابـع عشر وكم من تضحيـات عديدة أخرى ، لم تضع هباء ! لقد دفع الانسـان غاليا ثمن حريته •

السـيدة : حقا ! .. فنحن أصحاب هذه الدنيا ، ولا ينبغى أن يضايقنا أحد فى بيتنا .

الرجــل : جان دارك ! .. ألم تسألى نفسك ما الذى يمكنها أن تقوله جان دارك اذا ما رأت كل هذا ؟ !

السـيدة : سألت نفسى أكثر من مرة هذا السؤال ! ..

الرجــل : هى التى كانت تسكن كوخا باليا .. هل كان يمكنها التعرف على هذه التغيرات ، حتى بالاشارات اللاسلكية ؟ !

السـيدة : أوه ! بالطبع لا .. لم تكن لتتمكن من ذلك !

الرجــل : ربمـا !

السـيدة : حقا ! .. ربما .. ! على الرغم من كل شىء .

الرجــل : كلما تذكرت أن الانجليز أحرقوها حية هم الذين حرروا فيما بعد حلفاء لنا .

السـيدة : من كان يصدق ذلك !

الرجــل : وهناك أيضا انجليز طيبون !

السـيدة : وهناك أيضا انجليز أشرارا !

الرجــل : هل تعتقدين أن كورسيكا أسعد حالا ؟ !

السيدة : لم أقصد ذلك .

الرجل : ولكن أهل كورسيكا يفعلون شيئا على الأقل !

السيدة : شر لابد منه !

الرجل : الشر لا يمكن أن يكون ضروريا !

السيدة : موافقة !

الرجل : (يهب واقفا) سيدتى لقد نطقت الآن بكلمات عظيمة ، تستحق أن تدون كالحكم المأثورة .. اسمحى لى أن أهنئك..ها هو وسام الاستحقاق.. (يعلق شارة على صدرها) .

السيدة : (وكلها خجل) ولكنى يا سيدى ، لست سوى سيدة فى نهاية الأمر .. الا اذا كنت صادقا !

الرجل : أؤكد لك ذلك يا سيدتى .. فالحقيقة تنبع من العقل ، أيا كان هذا العقل .

السيدة : أوه ! أنت تجاملنى !

الرجل : (يعود للجلوس) سيدتى ، لقد لمست النقطة الحساسة ، ولا سيما الرذيلة الأساسية فى مجتمعنا هذا ، تلك الرذيلة التى أمقتها .. ومع هذا فانى لا أرغب فى التوصل الى حل تضامنى مع هذا

المجتمع .. ولا أرغب فى الوقت نفسه فى الانفصال عنــه .

السـيدة : هذا لا يصح .

الرجــل : ان مجتمعنا يا سيدتى لم يعد يحترم أى مهنة .. أنظرى الى هجرة أهل الريف الى المدن .

السـيدة : نعم يا سيدى انى أنظر .

الرجــل : وبما أنه لا يحترم المهن ، فهو لم يعد يحترم الانسان بالطبع !

السـيدة : حقا ! .. أنت على حق !

الرجــل : ربما لم يعد الانسان قادرا على فرض الاحترام !

السـيدة : ربمـا !

الرجــل : ولكن علينا أن نحترم الصغار على الأقل ، لأنه اذا لم يعد هناك أطفالا ، فان الجنس البشرى سيتعرض للفناء بعد وقت قصير .

السـيدة : هذا ما كنت أفكر فيه الآن .

الرجــل : لأننا قد نصل الى عدم احترام كلمة الشرف !

السـيدة : فظيــع !

الرجـــل : وما يزيد من فظاعة الأمر أن الكلمــة مقدسـة
ولا ينبغى أن نسخر منها •

السـيدة : أشاركك الرأى تماما ، ولهذا السبب بالذات أردت
أن تتعلم ابنتى تعليما قويما وأن تحصل على وظيفة
محترمة حتى تكسب عيشها بشرف وبفضــل جهدها
من احترامها لنفسها •

الرجـــل : خير ما فعلت •• وماذا تعلمت ؟ !

السـيدة : أتمت دراستها العليا •• وكنت أحلم دائما بأن أجعل
منها كاتبة •• وها هى الآن قد حصلت على شهادتها
وسوف تتعاقد فى القريب على عمل مناسب •

الرجـــل : لابد أنك فخورة بها !

السـيدة : هى نفســها ترقص من الفرحة ليل نهــار •• فلقد
أجهدت نفسها فى الاستذكار •• صغيرتى المسكينة !

الرجـــل : وها هى الآن تحصل على المكافأة •

السـيدة : لم يعد الا أن أجد زوجا مناسبا •

الرجـــل : حقا ! يبدو أنها فتاة طيبة !

السـيدة : (تنظر فى الكواليس) أوه ! ها هى قادمة .. دعنى أقدمها لك .

(تدخل ابنة السيدة ،فاذا به رجل فى الثلاثين من عمره ، قوى البنية ، واضح الرجولة ، له شـارب أسود ويرتدى حلة رمادية)

الفتاةالرجل : طاب صباحك يا أمى .

(يتضح أن صوته قويا يشير الى رجولة كاملة .. يقبل أمه)

السـيدة : اذهبى لتحية السيد .

الفتاةالرجل : (يؤدى حركة الانحناء التقليدية) طاب صباحك يا سيدى .

الرجـل : طاب صباحك يا صغيرتى !

(للسيدة) انها مؤدبة حقا .. كم تبلغ من العمر ؟

السـيدة : ثلاثة وتسعين عاما !

الرجـل : لقد بلغت اذن سن الرشد .

السـيدة : كلا .. انها مدينة لنا بتسعين عاما ، ولا يبقى لها الا ثلاثة عشر عاما .

الرجــل : سوف تمضى هذه الأعوام بنفس سرعة الأعوام الأخرى •• أوه !

(للفتاة الرجل) لازلت اذن قاصرا ؟ !

الفتاةالرجل : (بصوت مرتفع جدا) نعم ، لكل قاصر من يزيدها قصــورا •

(الرجل والســيدة ينهضان مفزوعين •• يتبــادل الثلاثة نظرات دهشة بينما تضم السيدة يديها) •

(ســتار)

كتب أخرى .. للمترجم

صـــدرت :

١ ـ **مهاجر بريسبان**

مسرحيـــة جــورج شـــحادة دار المعارف ١٩٦٩

٢ ـ **الآلـة الجهنمية**

مسرحية جان كوكتو **الأنجلو** ١٩٦٩

٣ ـ **انفعـــالات**

قصص ناتـــالى ســـاروت هيئـــة الكتـــاب ١٩٧١

٤ ـ دقـات المسرح

دراســات ونقــد تطبيقى هيئــة الكتــاب ١٩٧٣

٥ ـ ليـلة القتـلة

مسرحيــة خوزيه تريــانا هيئــة الكتــاب ١٩٨٠

٦ ـ كهف الحـكيم

دراســات عن أهــل الكهف دار المعــارف ١٩٨٠

٧ ـ صرخات فوق المسرح

رؤى ودراســات غربيــة دار المعــارف ١٩٨٠

٨ ـ شباب هذا العصر

رؤى ودراســات غربيــة المركـز الجـامعى ١٩٨١

٩ ـ ازمة انسان العصر

عن جرنيــكا الأسبانيــة دار المعــارف ١٩٨١

١٠ ـ سينما نعم سينما لا

دراسات ونقد تطبيقى هيئة الكتاب ١٩٨٢ .

١١ ـ الجحيم

رواية هنرى باربوس هيئة الكتاب ١٩٨٦

١٢ ـ دون كيشوت

مسرحية ايف جامياك هيئة الكتاب ١٩٨٧ .

١٣ ـ نبض العصر

دراسات ونقد تطبيقى، المواهب ١٩٨٧

١٤ ـ فصل من الكونغو

مسرحية ايميه سيزير هيئة الكتاب ١٩٨٧ .

١٥ ـ ليلة القدر

رواية طاهر بن جلون هيئة الكتاب ١٩٨٨

١٦ ــ قمم عربية وغربية

حوارات وندوات الشركة العربية ١٩٨٨

١٧ ــ الانسان كلمة

دراسات وشخصيات عربية وغربية هيئة الكتاب ١٩٨٨

١٨ ــ مفكرون لكل العصور

دراسات وشخصيات فلسفية الدار المصرية ١٩٨٩

١٩ ــ الوان العصر

دراسات وشخصيات تشكيلية دار المريخ ١٩٨٩

الفهـــرس

رقم الايداع ١٩٨٩/٤٥٩٧

الترقيم الدولى ٨ ـ ٢١٧٣ ـ ٠١ ـ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب